بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فنجتمع بعون الله ﷻ في هذا المجلس المبارك في هذا المسجد العظيم المبارك نتدارس رسالة عظيمة، وهي من المتون الأصيلة عند أهل السنة والجماعة في التوحيد، ألا وهي رسالة الأصول الثلاثة. هذه الرسالة رسالة قيمة لا غنى للمسلم عن هذه الرسالة، وهي على اسمها أصول.

والأصول: جمع أصل، والأصل: ما ينبنى عليه غيره. فالدين كل الدين مبني على هذه الأصول الثلاثة. وواجب على المسلم أن يتعلم هذه الأصول وهي معرفة الله ومعرفة نبيه ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، هذه الرسالة كان الناس إلى عهد قريب يتدارسونها ويحفظونها الكبير والصغير والذكر والأنثى، وحصل بسبب هذا ولله الحمد خير كثير فكان الإيمان مستقراً في النفوس بفضل الله ﷻ بسبب أن الإيمان قد أنبنى على العلم، وشتان بين إيمان ومعتقد ينبني على علم راسخ ودليل ثابت، وبين إيمان مبني على العادة وعلى المربى فينشأ هذا الناشئ في عقيدته بحسب ما يقال له وبحسب ما يسمعه ممن حوله.

ولذا فإيمان من كان حاله كذلك على خطر، إذ أنه يتزعزع عند الشبهات، متى ما عصفت عواصف الشبه فإنه يتزعزع إيمانه وربما يختل عياذاً بالله أما الذي بني إيمانه على العلم وعلى الدليل وعلى الآية والحديث فإنه بتوفيق الله سبحانه يكون ذا إيمان راسخ وذا يقين مستقر، وهذا هو الذي ينفع صاحبه لا سيما في زمن الفتن الذي نعيشه نحن في أخر الزمان في زمن فتن متلاطمة، والذي يعين على الثبات على دين الله ﷻ بتوفيقه سبحانه هو هذا العلم الراسخ العلم بالله وبنبيه ﷺ وبدين الإسلام عن دليل.

هذه الرسالة التي بين أيدينا هي (الأصول الثلاثة)، وتسمى أيضاً (ثلاثة الأصول) والمؤلف رحمه الله قد سماها بهذا وبهذا، والأمر في تسميتها يسير.

هذه الرسالة رسالة وجيزة قليلة الكلمات، لكنها عظيمة النفع، وتحتوى هذه الرسالة على مقدمة ومضمون الرسالة وهي الأصول الثلاثة وخاتمة، أما المقدمة فإنها تشتمل على ثلاثة أمور:

أولاً: على مسائل أربع يجب على المسلم أن يتعلمها، ثم ذكر المؤلف أيضاً ثانياً: ثلاث مسائل أيضاً يجب على المسلم أن يتعلمها، ثم ذكر في خاتمة المقدمة خلاصة الملة الحنفية ملة إبراهيم ﷺ، شرحها وبينها رَحِمَهُ اللَّهُ بكلمات وجيزة، ثم بدأ في شرح الأصول الثلاثة وهي كما علمت معرفة الله ومعرفة نبيه ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، ثم ختم بخاتمة نبه فيها على بعض المسائل كالبعث وما يتعلق بالإيمان باليوم الأخر والكفر بالطاغوت.

هذه إطلالة وجيزة على هذه الرسالة النفيسة، وأنا أوصيك يا أخي رعاك الله بالاهتمام بهذه الرسالة وقراءتها؛ بل أوصيك بحفظها فإنها من أهم ما يكون، ولا سيما طالب العلم عليه أن يحرص تمام الحرص على حفظ هذه الرسالة المهمة.

وكان علمائنا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يحفظون طلابهم ويسمعونهم هذه الرسالة فلتحرص رعاك الله على دراستها وفهمها، وحفظها إن استطعت.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل).

بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بهذه المقدمة فقال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) بدأ بالبسملة بدأ الرسالة بذكر اسم (الله، الرحمن، الرحيم)، مستعيناً ومتبركاً بذكر اسمه تبارك وتعالى إذ بذكره جلا وعلا وبذكر أسماءه وصفاته تحل البركات والخيرات، وهو في هذا مؤتسي بكتاب الله ﷻ فإنه مفتتح بالبسملة فأول ما في المصحف بسم الله الرحمن الرحيم.

كذلك كان مؤتسياً بسنة النبي ﷺ، فإنه كان إذا بعث رسائله استفتحها بالبسملة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما لما أرسل إلى هرقل عظيم الروم تلك الرسالة التي بين فيها دعوته ﷺ بدأها ببسم الله الرحمن الرحيم واستقر عمل مصنفي العلوم ومؤلفي الكتب على افتتاح كتبهم ببسم الله الرحمن الرحيم.

قال: **(اعلم رحمك الله) اعلم:** هذا الفعل فعل أمر، يأتي به أهل العلم للتنبيه، يعني تنبه فإني سأذكر لك شيئاً مهماً (اعلم)، وعقّب رَحِمَهُ اللهُ بقوله: **(رحمك الله)** دعاء من الشيخ لمن يستمع ولمن يقرأ كلامه **(رحمك الله)**، وهذا فيه من التلطف الجميل ما فيه، وهكذا ينبغي على المعلم أن يتلطف بالمتعلم وأن يدعو له، ولا سيما إذا كانت الدعوة تتعلق بسؤال الله ﷻ الرحمة له **(اعلم رحمك الله)**، فالعلاقة بين العالم والمتعلم علاقة فيها تراحم. قال: **(اعلم رحمك الله أنه يجب علينا)** وجوباً، الواجب في الشريعة هو ما أمر الله ﷻ به أمراً جازماً يسمى الواجب، وحكمه أنه يثاب فاعله ويعاقب تاركه، وإن شئت فقل وتاركه متعرض للعقوبة يعني مستحق لها، هذا حكم الواجب.

وهذه الأمور التي يذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أمور يجب علينا أن نتعلمها **(اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل)**، يجب علينا جميعاً يجب علينا معشر المسلمين. ويجب أيضاً على الكافرين يجب على الأنس ويجب أيضاً على الجن هذه أمور لا يعذر أحد بالجهل فيها لابد أن تعلمها يا رعاك الله، يجب علينا تعلم يعني أن نطلب العلم في هذه الأمور الأربعة، يجب أن نطلب العلم في هذه الأمور الأربعة نتعلم، لابد من أن تخصص شيء من وقتك لهذا الأمر العظيم وهو أن تتعلم، وهذا الأمر مما انصرف عنه كثير من الناس مع الأسف الشديد تعلم العلم النافع هذا شيء زهد فيه كثير من الناس مع الأسف الشديد وقلَّ من يهتم به وكأنه شأن فضله ليس بذي شأن عند كثير من الناس مع الأسف الشديد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(يجب علينا تعلم أربعة أو أربع مسائل: المسألة الأولى: العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة).**

والعلم الذي يراد في كلام الشيخ بيَّنه بقوله: **(وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)** وهذه الأمور الثلاثة التي يجب علينا العلم بها هي الأصول الثلاثة التي عقد الشيخ هذه الرسالة لبيانها.

هذا علم واجب لابد منه ولتعلم يا رعاك الله أن **العلم ينقسم إلى قسمين:** علم شرعي، وعلم دنيوي.

أما العلم الشرعي فينقسم أيضاً إلى قسمين:

١) إلى علم واجب.

٢) وإلى علم مستحب.

واجب: يعني لابد لك أن تتعلمه، **ومستحب:** يحسن بك أن تتعلمه.

أما العلم الواجب: فهو علم ما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليك اعتقاداً وعملاً.

الشيء الذي أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليك اعتقاده وأوجب عليك العلم به فإنه يجب عليك أن تتعلمه، الله عَزَّوَجَلَّ أوجب عليك أن تصلي إذن يجب عليك أن تتعلم كيف تصلي، الله عَزَّوَجَلَّ أوجب عليك أن تتطهر إذن يجب عليك أن تتعلم كيف تتطهر، الله أوجب عليك أن تصوم إذن يجب عليك أن تتعلم كيف تصوم، لما؟ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب هذا أمر لا يعذر الإنسان فيه.

الشيء الذي يقوم به دينك الواجب تعلمه واجب، هذه قضية متفق عليها بين أهل العلم لابد وجوباً أن تتعلم ما أوجب الله تعالى عليك، أما العلم المستحب فهو العلم الشرعي الذي دون ذلك، وهذا بالنظر إلى الأفراد هو مستحب في حقك وفي حقي وفي حق الآخرين، لكن في مجموع الأمة هذا العلم المستحب فرض كفاية يعني يجب أن يكون في الأمة من يحمل هذا العلم؛ لأن به الحفاظ على هذا الدين، والحفاظ على هذا الدين فرض كفاية، وفرض الكفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، إذن العلم بالشريعة لا يخلو إما يكون ماذا واجباً أو مستحباً، والواجب هو علم ما أوجب الله على العبد ذكراً كان أو أنثى.

....

أما العلم الدنيوي: فإنه يختلف الحكم فيه بحسب هذا العلم فهو من حيث الأصل مباح، الأصل في العلوم الدنيوية أن تكون مباحة كعلوم الطب والهندسة والفيزياء وما إلى ذلك، وقد يتعلق أو قد يرتبط بهذا العلم ما يصبح به محرماً أو يصبح به واجباً على الكفاية، فإذا كان حاجة الأمة قائمة إلى هذا العلم أصبح فرضاً كفائياً، يجب أن يكون في الأمة من تحصل به الكفاية في الطب والهندسة والصناعة وما إلى ذلك، وذلك لأن هذا من الأمور التي تحتاجها الأمة في دينها أو في دنياها وقد يتعلق بهذا العلم ما يجعله محرماً كأن يستعمل هذا العلم فيما حرم الله تبارك وتعالى، أو يكون موضوعه في الأصل محرماً كعلم السحر وعلم الكهانة وعلم الموسيقى وما إلى ذلك فهذه علوم موضوعها في الأصل محرم وبالتالي فالتعلم لهذه العلوم لا يجوز هذا هو الأصل في مسألة العلم.

ولا شك أن العلم من أهم المهمات ونحن إذا أطلقنا العلم أو إذا قرأت في النصوص كلمة العلم فـــ"ال" هنا عهدية، والمراد العلم الشرعي علم الكتاب والسنة، علم ما أنزل الله تبارك وتعالى على عباده، هذا هو العلم الذي جاء الأمر به، وجاء الحث عليه وجاء بيان فضله، وأن فضل العالم على العابد كفضلي كما قال ﷺ على أدناكم كفضل النبي ﷺ على أدنى العباد، هذا العلم هو العلم الشرعي هو الذي من خرج في طلبه فهو في سبيل الله حتى يرجع، هذا العلم لا شك أنه من الأهمية بمكان ومن الفضل بمكان ومن الثواب بمكان، فلا ينبغي عليك يا عبد الله أن تزهد فيه بل ينبغي عليك أن تحرص عليه تمام الحرص وهذا كما أسلفت مما قل الاهتمام به مع الأسف الشديد.

ولذلك أنظر إلى أمر من أهم الأمور التي أوجبها الله ﷻ علينا بل هو أهم الأمور على الإطلاق بعد التوحيد ألا وهو الصلاة، قضية واجبة على كل مسلم ومسلمة في كل حال وفي كل وقت، يعني في اليوم يجب عليك أن تصلي خمس مرات قضية مهمة، ومع ذلك أين في مجموع المسلمين أولئك الذين جلسوا وأثنوا ركبهم وخصصوا من أوقاتهم في تعلم صلاة النبي ﷺ التي أمر بها أليس نبينا الكريم ﷺ يقول: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» صلوا فعل ايش؟ فعل أمر، والأصل في الأمر أن يقتضي الوجوب إذن أوجب النبي ﷺ على الأمة أن تصلي كما اعتادت؟! كما رأت الناس؟! كما شاهدت أباءها وأمهاتها؟! أو كما صلى هو ﷺ؟! أجيبوا؟!! كما صلى هو عليه الصلاة والسلام «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، طيب كيف بنا أو كيف لنا أن نصل إلى معرفة صلاته ﷺ حتى نؤدي هذا الواجب؟

الجواب: عن طريق التعلم أن نتعلم صلاة النبي ﷺ وهذا من أقل الأشياء أن تجد شخص يبحث عن كتاب يشرح كيف صلى النبي ﷺ أو يأتي إلى عالم أو إلى طالب علم ويقول علمني صلاة النبي ﷺ هذا شيء قليل تجد الشخص يبلغ من العمر خمسين أو ستين أو سبعين سنة وهو ما تحرك في نفسه دافع إلى أن يتعلم صلاة النبي ﷺ مع الأسف الشديد مع أن عنده استعداد لأن يقرأ أي شيء يمكن أن يقرأ صحيفة من أولها إلى أخرها ممكن يقرأ مجلة من أولها إلى أخرها، لكن أن يكون عنده دافع لأن يتعلم صلاة النبي ﷺ هذا قليل من الناس مع الأسف الشديد من يهتم به، ولذا كم تقع من الأخطاء في صلاة الناس مع الأسف الشديد والسبب أنهم ما حرصوا على التعلم وكم يضيع عليهم من الأجور تأمل في هذا الحديث يا رعاك الله قال ﷺ: «**من توضأ كما أمر، وصلى كما أمر، غفر له ما تقدم من عمل**» انتبه (توضأ) ولكن هناك قيد وهو كما أمر من؟ الرسول ﷺ هو الآمر في هذه الأمة، من توضأ كما أمر النبي ﷺ وكما علم، وصلى أيضاً كما أمر النتيجة غفر له ما تقدم من عمل.

من الذي لا يطلب هذا الفضل العظيم وهو أن يغفر الله ﷻ لك ما تقدم من ذنوبك ومعاصيك؟ والأمر يسير هو أن تؤدي هذه الصلاة طهارة وصلاة تؤديها وفق ما أمر النبي ﷺ وكما جاء في سنته ﷺ والسبب يسير وسهل وهو أن تتعلم، إذن هذا أمر لابد منه وهو أن تتعلم يارعاك الله أن تتعلم ما يتعلق بربنا جلا وعلا بمعرفة ما له من الأسماء والصفات، وما له من الحق على العباد، وما حق الله ﷻ على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أن يعلم ما أمر الله ﷻ به وما نهى الله تعالى عنه.

إذن يجب علينا العلم وهو معرفة الله تكون بمعرفة أسماءه وصفاته، ومعرفة حقه على العباد، ومعرفة حدود ما أنزل الله على العباد إذن عندنا ثلاثة أمور أن نعرف ربنا جلا وعلا بأسمائه وصفاته، وهذا لب الإيمان وأصل الأصول كيف تعبد من تجهل، أنت إذا علمت ربك تبارك وتعالى فإنك تعبده على الوجه الصحيح، بمعنى معرفتك بمن تحب تجعلك تحبه، معرفتك بمن تعظم تجعلك تعظمه، معرفتك بمن تخاف تجعلك تخافه، وهكذا إذن كل هذه التعبدات فرع عن العلم، لو قيل لنا اعبدوا رباً لا تعرفوا عنه شيئاً، اعبدوه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والدعاء إلى غير ذلك، ولكن أنتم لا تعرفون عنه شيئاً هل هذا ممكن؟! غير ممكن، هذا من تكليف ما لا يطاق،

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ومعرفة نبيه ﷺ)

إذن لا يمكن أن تعبد الله تبارك وتعالى حتى تعرفه سبحانه وتعالى، فتعرف أسمائه وتعرف صفاته نعوت جلاله ونعوت جماله تبارك وتعالى، ثم أن تعرف حقه على العباد وهو ما الأصل الذي خلق الله عز وجل الخلق من أجله وهو عبادته وحده لا شريك له، هذا أمر لابد أن تعرفه لابد أن تعرف كيف تتعبد للباري تبارك وتعالى، سواء كانت عبوديات باطنة أو كانت عبوديات ظاهرة، ظاهرة يعني تكون بالجوارح وتكون باللسان، باطنة يعني تكون بالقلب.

الأمر الثالث: أن تعلم وتعرف حدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ وأمر به عباده، يعني تعرف الحلال وتعرف الحرام، الله جلا وعلا جعل للعباد حدوداً يجب أن يقفوا عندها فعلاً وتركاً، فإذا أردت أن تبيع أن تشتري أو تتزوج أو تطلق أو تأتي أو تذر يجب عليك أن تعلم حدود ما أنزل الله على رسوله، فهناك أمور أباحها الله لك أن تأتيها، هناك أمور حرمها الله يجب عليك أن تنتهي عنها وهذا لا يمكن أن تصل إلى أدائه إلا من خلالها لماذا؟ من خلال العلم. إذن هذا هو الأمر الأول معرفة الله تبارك وتعالى.

ثانياً: **(ومعرفة نبيه ﷺ)** ألا وهو نبينا الكريم محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي المكي ثم المدني ﷺ تسليما كثيرا، هذا النبي الكريم ﷺ الذي أخرجنا الله به من الظلام إلى النور، من الغواية إلى الهداية، من الضلالة إلى نور الحق هذا النبي ﷺ لابد أن تعرفه، تعرف اسمه وتعرف نسبه وتعرف سيرته وتعرف شمائله وتعرف دلائل نبوته ﷺ حتى ترضى به ﷺ نبياً وبذلك تصل إلى مرحلة أن تذوق طعم الإيمان.

قال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً**» كيف تصل إلى الإيمان به بل إلى الدرجة الأعلى وهي أن ترضى به نبياً وأنت تجهله وأنت تجهل سيرته وأنت تجهل شمائله وأنت تجهل أيضاً دلائل نبوته ﷺ ولا سيما في هذا العصر كما أسلفت فإن هذا العصر هو عصر الشبه، وعصر التشكيك لا سيما مع انتشار هذه الوسائل العصرية في التواصل عن طريق الشبكة وعند طريق غيرها هناك مشككون في النبي ﷺ في دينه في رسالته في ما جاء به من عند الله عز وجل من الوحي هذا كله يحتاج منك معه إلى أن تكون على علم بشمائله ﷺ وبدلائل نبوته ﷺ حتى تكون في حماية وحرز بتوفيق الله من الوقوع في هذا التشكيك.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (معرفة دين الإسلام بالأدلة).

الأمر الثالث: **(معرفة دين الإسلام بالأدلة)** ولاحظ كلمة **(بالأدلة)** هنا هذا هو الإيمان الذي ينفع غاية النفع أن يكون عندك معرفة بالإسلام عن طريق الدليل، بعكس دين وإيمان المقلد الذي هو إمعه فعل مقلده فعل، ترك مقلده ترك، وهذا مع الأسف الشديد ليس بالإيمان الراسخ الجازم، إيمان المقلد تقليداً محضاً إيمان غير راسخ إنما يكون الإيمان راسخ جملة وتفصيلاً إذا كان عن علم بالدليل، إذن لابد من معرفة دين الإسلام بالأدلة.

لاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عرّف العلم بالمعرفة فقال المسألة الأولى العلم، وهو معرفة لاحظ العلم عرفه بماذا؟ بالمعرفة فهل العلم هو المعرفة أو بينهما عموم وخصوص، المسألة فيها بحث طويل عند علماء اللغة ويبحث هذه المسألة أيضاً علماء الأصول، منهم من قال إن العلم هو المعرفة وهذا يبدوا أنه مما يرجحه المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يعني أنهما لفظان مترادفان، ومنهم من قال إن المعرفة أخص من العلم، العلم أعم والمعرفة أخص وعلى كل حال هذه الدقائق ليست من محل البحث في هذه الرسالة الوجيزة.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (المسألة الثانية: العمل به).

هذا هو الأمر الثاني، قال (**المسألة الثانية: العمل به**) بعد أن تعلم لابد من خطوة ثانية، العلم وحده خطوة غير كافية في النجاة لا يمكن أن تنجو بالعلم فقط بل لابد من العمل به فعمل بلا علم لا ينفع، وعلم لا عمل معه لا ينفع، إذن هما أمران متلازمان العلم الذي يتبعه العمل، علم بلا عمل لا ينفع، عمل بلا علم لا ينفع، ولذا كان اليهود مغضوب عليهم لما؟ لأن عندهم علم وليس عندهم عمل، وكان النصارى ضالين؛ لأن عندهم عمل وليس عندهم علم وكان أهل الهداية من هذه الأمة مهتدين لأجل أنهم جمعوا ماذا بين العلم والعمل، إذن لابد من العمل لابد بعد أن تعلم أن تعمل وإلا فإنك ما استفدت شيئاً بل أضحى العلم حجة عليك، بل ربما صار العلم وبالاً عليك. إذن لابد أن تؤدي زكاة هذا العلم وتخرج من عهدته إلا بأن تعمل به، فأضحى العلم له زكاة وهي العمل به، إذن لابد من العمل بعد العلم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثالثة: الدعوة إليه).

إذا أتاك الله ﷻ علماً وعملت به فقد كملت نفسك فبقي عليك أن تكمل غيرك، وذلك بالدعوة إليه إذن الأمر الثالث الذي علينا أن نتعلمه الدعوة، أن نتعلم الدعوة إلى العلم الذي تعلمناه وعملنا به، والإسلام دين محبة، دينٌ يعلم أتباعه أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه ليس دينا يدعو إلى الأثرة أو إلى ما يسمونه الأنانية، المهم نفسي المهم أن أنجو أما غيري فلا أكترث ولا يهمني ذلك، هذا خلق بعيد عن خلق الإسلام، الإسلام يدعوك إلى أن تنجو، تحرص على نجاة نفسك وأن تجذب معك وتنجو بإخوانك، هذا الذي يعلمك إياه الإسلام ولذلك أمر الله ﷻ بالدعوة وأمر الله بالأمر بالمعروف وأمر الله أو أوجب الله النهي عن المنكر، وكل ذلك يدل على أنه لابد للمسلم بعد أن يعلم وبعد أن يعمل أن يجتهد في الدعوة، والدعوة تشمل دعوة الموافق ودعوة المخالف، دعوة المسلم ودعوة الكافر دعوة المستقيم بالتذكير والحث على الثبات ودعوة من هو على غير الطريق المستقيم بأن يعود ويئوب ويتوب إذن الدعوة قضية عامة لابد منها لكل مسلم.

الدعوة ليست مختصة بطائفة معينة هم موظفون ويأخذون أجوراً على الدعوة أو مختصون بوظيفة الحسبة أو هم المعلمون، هذه القضية واجبة على كل إنسان حتى العاصي نعم حتى العاصي حتى المقصر نعم حتى المقصر حتى الشخص الذي يعاقر معصية، والأخر بجانبه يعاقر معصية أيضاً على هذا العاصي أن ينصح الآخر، وإن لم ينصحه فإنه مستحق للعقوبة مرتين، على معصيته التي وقع وعلى عدم إنكاره على أخيه، أنظر إلى خطورة المسألة، إذن لابد يا رعاك الله من الاجتهاد في الدعوة إلى الله ﷻ ولكن لا يمكن أن تدعو إلا بعلم، وهذه قضية تحتاج إلى تفصيل بعض الناس يقول كيف أدعو وأنا جاهل، وبعض الناس يقول أنا أتصدر للدعوة ولو كنت ما حصلت علماً؛ لأن الدعوة أمر واجب، والحق هو في التفصيل أما التصدي للدعوة فإنه يلزمه تحصيل قدر من العلم يُمكن لهذا التصدر الذي يتصدر للدعوة ويجلس لعامة الناس ويوجه ويتكلم وربما أفتى هذا لابد أن يجلس للعلم ويتعلم أولاً.

أما الدعوة بمعنى أنه علم شيء من الدين فعليه أن يبلغه فهذا لا يحتاج أن يصل فيه إلى درجة عالم ومجتهد حتى يصل إليه قال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**» آية تعلمها وهذا الشرط أنك ما تدعو إلى آية تجهلها، لابد ان تكون تعلمها، تعلمت لا إله إلا الله ومعناه وشروطها ونواقضها إذن لابد

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرابعة: الصبر على الأذى فيه).

أن تعلم هذا الأمر لابد أن تدعوا إليه، ولو كنت جاهلاً في تفاصيل أخرى تعلمت كيف صلى النبي ﷺ تعلمت أحكام نواقض الطهارة تعلمت صفة صوم النبي ﷺ وهكذا في أمور أخرى هذا القدر أدعوا إليه ولا تدعوا إلى قدر أنت فيه جاهل بلغوا عني ولو آية كما قال ﷺ.

الأمر الرابع قال: **(الرابعة: الصبر على الأذى فيه)** العلم لابد فيه من الصبر والعمل لابد فيه من الصبر، والدعوة لابد فيها من الصبر، إذن الصبر زاد محرك معين على تحقيق الأمور التي سلفت، لا يمكن أن تعلم أو تتعلم حتى تكون صابراً وهذه ميزة يفرق بها بين طالب العلم وغيره ميزة طالب العلم على غيره أن عنده صبر وعنده جلد ولذلك يصبر على التعلم حتى يحوز قدر كبير منه،كذلك العمل يحتاج إلى صبر يحتاج إلى صبر أولاً في تعلمه وثانياً في تطبيقه وأدائه على الوجه المطلوب، وليس أن يؤديه كيف ما أتفق أو كأنه هم على ظهره يريد أن يتخلص منه يحتاج هذا الأمر إلى صبر، ثم يحتاج ثالثاً إلى صبر عن الوقوع فيما يفسده الآن هذا عمل طاعة وأداها كما جاء في سنة النبي ﷺ إذن هو الآن قد حاز قدراً من الربح، هذا الربح يحتاج إلى أن تحافظ عليه، كيف تحافظ عليه أن لا تأتي بعده بما ينقص هذا الربح يعني ينقص هذا الأجر بمعنى أن لا يأتي بمعاصي تذهب أو تضعف الثواب، وهذا من الأمور التي قل أن يتنبه إليها الناس فإنه كما أن الحسنات لها أثر على السيئات تكفيراً فكذلك السيئات لها أثر على الحسنات إحباطاً، انتبه لهذه القاعدة،كما أن للحسنات تأثير في السيئات تكفيراً فكذلك للسيئات في الحسنات تأثيراً إحباطاً،كما أن الحسنة المتأخرة تؤثر في تكفير السيئة المتقدمة فالعكس أيضاً صحيح،كذلك السيئة المتأخرة قد تؤثر في حبوط أو إنقاص أجر حسنة متقدمة، ولذا أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بالحفاظ على الأعمال فقال: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ قال السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ: بالمعاصي، فالمعاصي قد تكون سبب في إبطال الثواب أو إنقاص الأجر إذن هذا يحتاج إلى صبر، يحتاج أيضاً إلى صبر رابع وهو الصبر على كتمان العمل هذا أمر يحتاج إلى حبس وإلى مجاهدة للنفس.

بعض الناس يجتهد في العمل الصالح ويؤديه ولكن لا يصبر على كتمانه، بل يحرص على أن يشيع أنه قد عمل وهذا الذي يؤدي إلى إضعاف الثواب أو إبطاله، هذا من التسميع ومن سمع سمع الله به كما قال ﷺ يعمل يقوم الليل مثلاً فإذا أصبح يريد أن يتطلع إلى أن يجد فرصة ليخبر زميله أنه قد قام الليل بالأمس أو يتصدق سراً ولكنه عند أدنى مناسبة تجد أنه يشير إلى أنه بالأمس قد

....

تصدق مع أن المسلم ينبغي عليه كما أنه يحرص على كتمان سيئاته وعدم إشاعتها الذي ينبغي في حقه أيضاً أن يحرص على كتمان حسنته فشتان بين الديوانين ديان العلانية وديوان السر، احرص على أن تكون حسناتك في ديوان السر ما استطعت، إلا أن يكون هذا العمل مما أمر الله ﷻ بإعلانه كصلاة الجماعة أو الحج مثلاً.

إذن هذا هو الأمر الذي يجب عليك أن تتنبه له الصبر على العلم، الصبر على العمل، الصبر على الدعوة إلى الله ﷻ، الصبر على تعليم الناس، الصبر على الأمر بالمعروف، الصبر على النهي عن المنكر، وهذا لابد منه لا يمكن أن تأتي بما أمر الله ﷻ عليك من الدعوة والبيان والبلاغ والأمر والنهي إلا إذا تسلحت بالصبر، ولذا أمر الله نبيه ﷺ بهذا الأمر العظيم فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ لا يمكن للداعية وأعلى درجات الدعاة على الإطلاق هم أنبياء الله ورسله وصفوتهم هم أولوا العزم الخمسة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام هؤلاء كانوا أهل صبر عظيم ولذا سموا أولي العزم، إذن لا يمكن أن تقوم بهذا الواجب وهو الدعوة والأمر والنهي إلا إذا تسلحت بالصبر فإن الأمر لا يخلو من مشقة ولا يخلو من كلام ولا يخلو من مشاغبة ولا يخلو من مضايقة ولا يمكن أن يكون الطريق كما يقال مفروشاً بالورد بل لابد من شوك ويتحمله الإنسان في ذات الله تبارك وتعالى فيصبر ويصابر ويبالغ أيضاً في حبس النفس عن فعل مالا ينبغي حتى يحقق ما أمر الله ﷻ ويفوز بما أوجب ﷻ وما أحسن ما قال ﷺ **«وما أعطي عبداً عطاء خيراً ولا أفضل من الصبر»** خير ما تعطاه يا عبد الله أن يرزقك الله ﷻ الصبر صبر على طاعة الله، صبر عن معصية الله، صبر على أقدار الله المؤلمة، هذه أنواع الصبر التي أوجب الله تبارك وتعالى أوجبها الله على عباده.

قال رحمه الله: (والدليل قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾

هذه السورة العظيمة الكلام فيها كثير والفوائد المستفادة منها جمة ولاحظ أولاً أن الشيخ يقول والدليل قوله تعالى يعلمنا أن لا نقبل شيء إلا بماذا إلا بدليله تعود في أمور دينك على أن لا تأخذ الشيء إلا مدعوماً بماذا بالدليل لأن الله ﷻ أمرك بهذا ما أمرك بأتباع أي شيء ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ هذا الذي أوجبه الله إليك، ما أمر الله ﷻ بإتباع كلام الناس وإتباع عقولهم وإتباع عوائدهم، إنما أمر الله بإتباع ما نزل من السماء ما نزل من عنده تبارك وتعالى على أنبيائه ورسله، وقاموا بدعوة الناس إليه ونبينا الذي أمرنا الله بإتباعه هو النبي محمد ﷺ.

إذن لابد من الدليل في كل صغير وكبير إذا قيل لك هذه سنة هذا أمر محبوب هذا أمر يحبه الله أنت مثاب إذا فعلته قل مباشرة الدليل إن كان هناك دليل فعلى الرأس وعلى العين وإن لم يكن هناك دليل فقل لا حاجة لي به، لابد أن يكون هناك دليل في كل خطوة تخطوها في طريق عبوديتك وطريق وصولك إلى الله تبارك وتعالى وإلى رحمته، لابد أن تكون طلاباً للدليل قال والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ أقسم الله تبارك وتعالى بالعصر وأختلف المفسرون اختلافا طويلاً في تفسير كلمة العصر هنا قيل إن العصر هو الدهر يعني الزمان، وقيل أن العصر هو وقت العصر وقيل أن العصر هو صلاة العصر إلى أخر ما قيل والصواب في هذا والله تعالى أعلم أن العصر هو الزمان يعني الدهر أقسم الله تبارك وتعالى به تفخيماً لأمره لما لأنه هو محل النجاة أو الخسارة الوقت من أعظم التي أنعم الله ﷻ بها عليك لأنك إذا استثمرته فإنك تكون من أهل النجاة وإلا تكون من أهل الخسارة.

ولاحظ يا رعاك الله أن الله ﷻ أقسم بالعصر وهو مخلوق والله ﷻ له أن يقسم بما شاء من خلقه تعظيماً لهذا المخلوق الله ﷻ إذا أقسم بمخلوق كالعصر كالسماء ذات البروج، كالسماء والطارق إلى غير ذلك فإن الله ﷻ له أن يقسم من خلقه بما يشاء ولكن المخلوق ليس له أن يحلف أو يقسم إلا بالله تبارك وتعالى لما في الصحيحين من قوله ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**».

....

إذا أردت الحلف عندك طريق واحدة فقط أن تحلف بالله أو لا تحلف، ليس في الإسلام حلف إلا بالعظيم تبارك وتعالى، وأما سواه فلا يجوز الحلف به، بل الحلف بغيره تبارك وتعالى شرك بالله، قال ﷺ فيما خرج أحمد وغيره بإسناد صحيح «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» إذن لا يجوز الحلف إلا بالله تبارك وتعالى. قال ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ ما جواب القسم، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾الإنسان هنا المراد به جنس الإنسان يعني كأنه قال إن الناس لفي خسر بدليل الدليل على أنه أراد جنس الإنسان يعني جميع الناس أنه استثنى فقال﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الاستثناء كما يقولون معيار العموم، إذن الناس كلهم حكم الله ﷻ أنه في خسارة وصدق الله الناس كلهم في خسارة باستثناء من سمى الله ﷻ ذكر والخسارة نوعان قد تكون خسارة مطلقة وهذه للكفار عافاني الله وإياكم منه الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة نسال الله ﷻ العافية من حالهم هؤلاء لهم الخسارة المطلقة.

وهناك خسارة جزئية خسارة نسبية وهي خسارة العصاة خسارة أهل الكبائر الذين ما تاب الله ﷻ عليهم وما غفر الله تبارك وتعالى لهم، فإن هؤلاء لهم خسارة ولكن ليست خسارة مطلقة لأنهم إن لم يعفو الله ﷻ عنهم فإنهم سيعذبون وسينالهم من غضب الله ﷻ وناره عافاني الله ﷻ وأياكم فقد تحقق في حقهم أن لهم خسارة لكن ليست خسارة تامة أو خسارة مطلقة.

ثم استثنى الله ﷻ استثنى من؟ استثنى أهل المسائل الأربع السابق، إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، هؤلاء الذي حققوا الأمور الأربعة أو هذه الأمور الأربعة تقابل المسائل الأربعة السابقة، العلم يقابله الإيمان لماذا؟ قال العلماء لأن الإيمان مستلزم للعلم يعني العلم لازمه الإيمان فذكر ﷻ المستلزم وهو الإيمان؛ لأنه لا يمكن أن يكون هناك إيمان ألبتة إلا بعلم،كيف يمكن أن تعبد الله ﷻ إذا كنت لا تعلم هذا المعبود إذا كنت لا تعلم الرسالة ولا تعلم الرسول ولا تعليم تفاصيل هذا الدين إذن لا يمكن أن تكون مؤمناً إلا بقدر من العلم إذن العلم لازمه الإيمان.

إذن أشار ﷻ إلى هذه المسألة الأولى بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾المسألة الأولى ما هي العلم يقابلها في الآية ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾بأي دلالة؟ قال العلماء بدلالة اللزوم، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ

﴿ءَامَنُوا۟﴾ثم قال: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾هذه هي المسألة الثانية وهي العمل به العمل بالعلم ثم قال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾التواصي بالحق هو المسألة الثالثة وهي الدعوة إليه.

الأمر الرابع ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾المسألة الرابعة وهي الصبر على الأذى فيه ولاحظ معي أن المذكور في هذه السورة العظيمة فيه ذكر عموم وخصوص قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ مع أن الإيمان في الشريعة يتضمن العمل الصالح الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع العلماء أن الإيمان مكون من ثلاثة أمور، من اعتقادٍ قلبي ومن قولٍ لساني ومن عملٍ بالجوارح، كيف هنا يقول ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾والعطف يقتضي المغايرة الجواب أن العطف لا يقتضي المغايرة في كل حال بل هناك أحوال لا يكون فيها العطف بالواو يقتضي المغايرة ومنها هذه الحال، قال العلماء هذا من باب عطف الخاص على العام يعني عطف البعض على الكل من باب عطف البعض على الكل كما في قوله: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ أليست الصلاة الوسطى من الصلوات ولكن ذكر البعض بعد الكل تنبيهاً على هذا البعض إذن إلا ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أليس التواصي بالحق والتواصي بالصبر من العمل الصالح إذن لماذا عطفه عليه؟ كما قلنا أنفاً من باب الخاص بعد العام أو باب ذكر البعض بعد الكل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم، وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ باب: العلم قبل القول والعمل).

يقول: **(قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ)** هو الإمام العظيم محمد ابن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أحد الأئمة الأربعة وأقربهم نسباً من رسول الله ﷺ ولد سنة خمسين ومائة للهجرة وتوفي سنة أربع ومائتين للهجرة، هذا الإمام الجليل علق على هذه السورة تعليقاً عظيماً قال: **(لو ما أنزل الله حجة على عباده إلا هذه السورة لكفتهم)** مراده رَحِمَهُ اللَّهُ أنه في باب العلم والعمل والدعوة والصبر لو ما أنزل الله في هذا الباب إلا هذه السورة لكفتهم ليس مراده أنها هذه السورة تكفي عن الدين كله في شرائعه جميعاً وجميع عباداته جميعاً في الصلاة والزكاة والحج والصيام هذه السورة ليس مذكوراً فيها هذا الأمر إنما مراده حجة في هذه المسائل المهمة الأربعة وهي العلم والعمل والدعوة والصبر. إذن مراده هو هذا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وجاء عنه رواية في هذا الأثر وهو أقرب إلى المعقول وأقرب إلى المفهوم، وهو أنه قال لو تدبر الناس في هذه السورة لكفتهم لأنها عند التأمل تدل على الدين كله، إما بدلالة المطابقة وإما بدلالة التضمن وإما بدلالة اللزوم.

نختم بكلمة البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، الإمام البخاري هو الإمام الجليل محمد ابن إسماعيل ابن إبراهيم البخاري المولود سنة ١٩٤ وتوفى سنة ٢٥٦ صاحب الكتاب العظيم كتاب صحيح البخاري الذي هو أصح الكتب في حديث رسول الله ﷺ على الإطلاق هذا الإمام الجليل بوب باباً يعني ذكر باباً في كتابه الصحيح قال فيه: **(باب العلم قبل القول والعمل)** والدليل أنظر هنا تعليم أيضاً الإمام البخاري لنا أن نأخذ العلم بماذا؟ بدليله نأخذ الفائدة بدليلها، قال والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾ لاحظ أن الأمر جاء بماذا بالعلم فاعلم أنه لا إله إلا الله ثم عطف على هذا بماذا بالعمل اللساني قال وأستغفر لذنبك وللمؤمنين، إذن بدأ الله تبارك وتعالى أولاً بالعلم ثم ثنى بماذا؟ ثنى بالعمل إذن العلم قبل القول والعمل.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن، الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا بل أرسل إلينا رسوله فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار"، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أشار في هذه المقدمة الثانية في هذا المتن العظيم الذي هو الثلاثة الأصول، أشار إلى أنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم هذه المسائل الثلاث التي سيأتي ذكرها، وأن يعمل بهن، هذا أمر واجب عينيٌ على كل مسلم ومسلمة، ومن تأمل في هذه المسائل التي أوردها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، يدرك أنها حرية بذلك؛ بل الشأن فيها أرفع من كونها واجبة، فهذا الذي ذكره الشيخ من أصول الإيمان ومن معاقد الدين، ومما لا يصح الإسلام إلا باعتقاده والعمل به، مسائل ثلاث ومر معنا في درس الأمس؛ مسائل أربع إذاً أضحى ما أتحفنا به المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أضحى سبع مسائل يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها.

المسائل التي وجبت أو تعلمنا وجوبها أمس هي: العلم، والعمل، والدعوة، والصبر على الأذى.

أما هذه المسائل فالشأن فيها أدق، والبحث فيها أخص.

المسألة الأولى: يجب عليك يا عبد الله أن تعلم أن الله ﷻ خلقنا ورزقنا و لم يتركنا هملا، الله ﷻ هو الخالق؛ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض؟ ولا يوجد موجود إلا وهو أحد أمرين إما أن يكون خالقاً أو مخلوقاً. والخالق هو الله ﷻ وحده، وما سواه فمخلوق. وهو الرازق —جل وعلا هو الذي ينعم على عباده ويتفضل عليهم بالرزق، فالرزق صفة له سبحانه وتعالى، فلا أحد يرزق سواه جل وعلا. إذاً الله خلقنا ورزقنا و لم يتركنا هملا، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ قال السلف رَحِمَهُمُ اللهُ "لا يؤمر ولا ينهى"، هذا عبث يتره الله تبارك وتعالى عنه، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ فتعالى الله، فتعالى الله ﷻ عن هذا الظن؛ بل هذا هو ظن المشركين الكفار، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وأما المؤمن فإنه يعلم أن الله تبارك وتعالى ما خلق هذا الخلق عبثاً، ولا خلق هذا الخلق سدى، إنما خلق الخلق لحكمة عظيمة. ونحن معاشر المسلمين نؤمن

....

أن الله تبارك وتعالى متصف بالحكمة؛ حكمة يفعل الله ﷻ لأجلها، ويُقدِّر لأجلها، ويخلق لأجلها، ويشرع لأجلها، حكمة بالغة له تبارك وتعالى، الله ﷻ إذا خلق وإذا فعل، وإذا قدر، وإذا شرع؛ فإنما كان هذا منه لحكمة يحبها تبارك وتعالى، فالله موصوف بالحكمة وهو الحكيم؛ يعني ذو الحكمة، يتره جل وعلا عن أن يكون شيءٌ منه عن عبث، هذا يتعالى ويتتره عنه تبارك وتعالى.

إذاً الله ﷻ خلق الخلق لحكمةٍ، فما هي هذه الحكمة؟ هذه الحكمة هي: الحق. ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، الله ﷻ أراد أن يكون الحق، وما هو هذا الحق؟ هذا الحق هو: غايةٌ مرادةٌ من العبادِ، وغايةٌ مرادةٌ بالعبادِ.

إذاً انتبه الغاية من خلق الناس، تحقيق أمرين: قال أهل العلم: "هما أمران غايةٌ مرادةٌ من العباد، وغايةٌ مرادةٌ بالعباد". أما الغايةُ المرادةُ من العباد؛ فإنها عبادة الله ﷻ وحده، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾

إذاً يتلخص لنا أن الغاية من العباد؛ غاية مطلوبة من العباد هي: تحقيق معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته، ثم عبادته تبارك وتعالى، ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾، لتعلموا: هذه اللام ما هي؟ لام الحكمة؛ التي يسميها علماء اللغة: "لام التعليل"، فالله ﷻ خلق الخلق؛ لأجل أن يعرفوه تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته، ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾. أما الغاية التي تتبع هذه فهي القيام بالعبودية لله تبارك وتعالى، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

أما الغاية المرادة بالعباد؛ الشيء الذي أراده الله تبارك وتعالى بالعباد، فهو جزاؤهم؛ يجازيهم تبارك وتعالى على الحسنات بفضله، ويجازيهم على السيئات بعدله. أما فضله؛ فهو الجنة ونعيمها، وما يتبع ذلك. وأما جزاؤه بالعدل فهو النار والعذاب _عفاني الله وإياكم_ من ذلك.

إذاً؛ الخلاصة التي نصل إليها، أن الغاية من خلق الخلق هي ماذا؟ أمران: غاية مرادة من العباد، وهي أن يعرفوه ثم يعبدوه وحده لا شريك له، وأما الغاية المرادة بهم؛ فهي ماذا؟ جزاؤهم عدلاً أو فضلاً. الفضل؛ جزاءٌ لماذا؟ للحسنات، للإيمان، للتوحيد. والعدل جزاءٌ للسيئات، والكفر به ﷻ،

....

ومحادته ومحادة رسوله ﷺ ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾.

إذن هذا هو الذي خلق الله ﷻ الخلق من أجله.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار).

الله ﷻ من رحمته ﷻ أرسل الرسل، وأنزل الكتب، لكي يكون هؤلاء الرسل وسائط بين العباد وبين الله تبارك وتعالى، فيعرفون العباد أولاً: بالله ﷻ، ويعرفونهم ثانياً: بما يحب وبما يكره، يعني يعرفونهم بالوسيلة التي توصل إليه تبارك وتعالى، ثم يعرفونهم ثالثاً: بالجزاء؛ إن أطاعوا ماذا لهم؟ وإن عصوا ماذا عليهم؟

إذن؛ تتلخص وظيفة الرسل الذين أرسلهم الله تبارك وتعالى في هذه الأمور الثلاثة:

تعريف العباد بربهم تبارك وتعالى.

تعريفهم بالطريق الموصلة إليه جل وعلا؛ ماذا يحب فيعملون، وماذا يبغض فيجتنبون.

تعريف العباد بجزائهم إن أطاعوا، أو عصوا.

هذه خلاصة دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم أستدل على هذا بقوله جل وعلا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾

الله ﷻ لم يكن بعثته لنبينا محمد ﷺ شيئاً جديداً منه تبارك وتعالى، بل هذه سنته في خلقه من قبل، لم يزل الله ﷻ يبعث الرسل لأجل تحقيق الغاية التي أرادها –تبارك وتعالى من الخلق، ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً﴾.

إذاً الله ﷻ بعث نبينا محمداً ﷺ كما بعث الأنبياء قبله، ومن أولئك نبي الله وكليمه موسى عليه السلام، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾؛ هو موسى عليه السلام، ماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أن عصى هو وقومه، ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾، أخذه الله ﷻ أخذاً شديداً، وعذبه سبحانه عذاباً عظيماً، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ إذاً هذا الذي حصل لمن كفر بالله ﷻ وهو فرعون وقومه سيحصل لمن عصى نبينا محمداً ﷺ وأبى الانقياد له، من لم يرفع رأساً بدعوة النبي ﷺفإنه جدير وحقيق بأن يصيبه ما أصاب من عصى من قبل؛ فرعون ومن كان على شاكلته، فلتعلم يا عبد الله ذلك.

....

الأمر عظيم، هذه قضية يجب أن تكون نصب عين كل إنسان، الله ما خلقنا لنأكل وما خلقنا لنشرب وما خلقنا لنشتغل بالوظائف والأعمال، الله ﷻ خلقنا لأجل طاعته تبارك وتعالى، فلا يجوز أن تكون هذه الحكمة العظيمة غائبة عن العباد، هذه القضية يجب أن تكون في أُسِّ اهتمامك وفي أساس تفكيرك يا عبد الله. خلقك الله ﷻ وأمدك بالنعم ورباك تربيةً إيمانية وتربيةً حسية، كل ذلك لتحقيق عبودية الله تبارك وتعالى.

إذن في كل خطوةٍ تخطوها في هذه الحياة يجب أن تستحضر هذا الأمر فتكون أفعالك فتكون حركاتك وسكناتك كلها منطلقة من هذا الأصل الذي أنت مستيقنٌ به أنك عبداً لله ﷻ أنك مطيعاً لرسوله ﷺ وينتظرك في الآخرةِ الجزاء فإن أطعت الله وأطعت رسوله ﷺ فأبشر بالخير أنت على طريق النجاة، أنت من الفائزين عند الله ﷻ وهذا هو الفوز الحقيقي هذا هو الفوز العظيم، أما من غلبت عليه الشقوة وانصرف عن هذه الحقيقة العظيمة فليبشر بما يسؤه، فأخذناه أخذاً وبيلا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثانية: أن الله لا يرضي أن يشرك معه أحداً في عبادته لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل والدليل قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

هذه المسألة الثانية: وهي مسألة عظيمة فتنبه لها يا عبد الله أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرضي بالشرك به هذه قضية يجب أن تكون معلومة لك القضية الأولى يجب أن تعلم أن الله خلقنا لغاية عظيمة وهي غاية مرادةٌ بنا وغاية مرادةٌ منا، الغاية المرادة منا أن نعبد الله عَزَّوَجَلَّ، والغاية المرادة بنا أن نجازى على أعمالنا.

الحقيقة الثانية والمسألة الثانية: أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرضى الشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالشرك مبغُضٌا لله سبحانه أشد البغض منه تبارك وتعالى هو للشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الله عَزَّوَجَلَّ أغنى الشركاء عن الشرك فمن أشرك مع الله تبارك وتعالى شيئًا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يتركه وما أشرك، الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ هو جعل غير الله عَزَّوَجَلَّ عِدلٍا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بمعنى أن يجعل غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعل له شيئًا مما يختص به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما يختص به جل وعلا ثلاثة أمور: الربوبية، والأسماء والصفات، والألُوهية، الربوبية شيءٌ اختص الله تبارك وتعالى به، فالخلق والرزق والتدبير وما إلى هذه المعاني شيءٌ اختص الله تبارك وتعالى به، فمن جعل لغير الله عَزَّوَجَلَّ شريكًا مشاركًا مضارعًا لله عَزَّوَجَلَّ في شيءٍ من معاني الربوبية فإنه يكون قد وقع في الشرك.

الأمر الثاني: الأسماء والصفات، لله عَزَّوَجَلَّ أسماء وصفات أختص بها، فمن جعل هذه الصفات لله عَزَّوَجَلَّ لغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقد أشرك مع الله تبارك وتعالى، من قال إن غير الله عَزَّوَجَلَّ مثل الله هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن نقول قد وقع في ماذا؟ في الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته. ماذا؟ هل تعلم له سميا؟ ليس هناك سميٌ لله يعني ليس هناك كُفؤًا لله عَزَّوَجَلَّ، ولا نظير لله عَزَّوَجَلَّ إذا من جعل شيئًا مما أختص الله عَزَّوَجَلَّ من الصفات لغيره فقد أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

الأمر الثالث: الشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر العظيم الذي أختص به ثالثا وهو عبادته جل وعلا، العبادة حقٌ لله خالص لا يجوز ألبتة أن تكون عبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فمن جعل غير الله معبودًا فقد أشرك مع الله سبحانه، هذا الشرك الله لا يرضاه الله لا يحبه، الله يغضبُ على من فعله، وعلى من وقع في هذا الأمر أن يكون من هذه القضية على ذُكر، أنتبه الله لا يرضى أن يشرك معه غيره حتى لو كان نبيًا مرسلاً أو ملكًا مقربًا، وبالتالي فمن دونهم من باب أولى، إذا كان الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أو في ربوبيته أو في أسماءه وصفاته ولو كان ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلاً فكيف

....

بغيره؟! إذا على الإنسان أن يحذر من هذه القضية العظيمة الشرك أكبر جريمةٍ على وجه الأرض، الشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يُغفر ألبته لمن مات عليه، كل ذنبٍ عدى الشرك فإنه قابل للمغفرة، أما الشرك فمستحيل من مات وقد بقي على شركه وما تاب إلى الله منه فهذا لا أمل له هذا يائس من رحمة الله، فأولئك يأسوا من رحمتي ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

الشرك بالله ﷻ هو الذنب الوحيد الذي يحبط جميع الأعمال، الشرك بالله إذا وقع فيه الإنسان ومات عليه فإنه والعياذ بالله يبطل كل حسنة وكل عملاً صالح قام به الإنسان في حياته، سبحان الله العظيم أمرٌا خطيرٌ جدًا، أرأيت لو أن إنسانًا عاش في هذه الحياة ثمانين أو تسعين سنة قضاها أو قضى عامتها في طاعة وخير وصلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وذكر وتلاوة قرآن وقيامٍ لليل لكن في آخر دقيقة في حياته أشرك مع الله ﷻ دعا غير الله قال يا سيدي فلان المدد المدد، قال يا سيدي فلان المدد المدد أشرك مع الله ﷻ في ماذا؟ في ماذا؟ في الدعاء وهل الدعاء عبادة؟من الذي قال هذا؟ نبينا ﷺ قال لنا الدعاء هو العبادة هذا ليس كلامنا هذا كلام النبي ﷺ، قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**الدعاء هو العبادة**» انتهت القضية بت في هذه القضية نبينا ﷺ، إذا كان الدعاء عبادةً إذًا هذا حقٌ لمن لله ﷻ من صرفه لغيره من أدى هذا الحق لغير الله ماذا يكون؟ يكون مشركًا مع الله ﷻ، إذًا من دعي غير الله ماذا يكون؟ يكون مشركًا ثم مات هذا الإنسان ما مصير ثمانين سنة كلها أعمال صالحة؟ ما مصيرها يا جماعة؟ لا شيء ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

بسبب ماذا الشرك يا سيدي فلان المدد أربعة كلمات كم أخذت من الوقت؟ خمس ثواني ولا أقل هذه الثواني القليلة لأنه وقع فيها شرك أصبحت هادمة لكل تلك الحسنات في كل تلك السنين، إذًا أي شيء أخطر من الشرك بالله ﷻ، قضية عظيمة ولذلك كلما عظم إيمان المسلم كان خوفه من الشرك أعظم، خذها قاعدة كلما كان إيمان الإنسان أعظم كلما كان خوفه من الشرك أعظم ولذا تأمل قول الله جل وعلا عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ سبحان الله! إبراهيم عليه السلام ومن إبراهيم أفضل البشر على الإطلاق بعد نبينا ﷺ، خليل الله ﷻ الله ما اتخذ من البشر خليلاً إلا اثنان، اتخذ نبينا ﷺ واتخذ إبراهيم خليلاً إمام الموحدين أبو الأنبياء عليه الصلاة

....

والسلام ومع ذلك يدعو الله ﷻ دعاءً حارًا يقول ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ لما؟ لأنه يعلم خطر الشرك بالله ﷻ مع أنه نبي ورسول ومعصوم من الوقوع في الشرك ومع ذلك يخاف على نفسه قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ من يأمن البلاء بعد إبراهيم؟، إذا كان إبراهيم عليه السلام وهو هو يخشى ويخاف على نفسه ويدعو الله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام فكيف بنا يا أيها الإخوان؟، الشرك بالله ﷻ ذنبٌ لا يمكن أن يقارن به غيره ألبته ولذا شدد الله سبحانه وتعالى في شأنه أعظم تشديد وصوره بأقبح صورة قال: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ خطورة عظيمة لمن يقع في الشرك بالله تبارك وتعالى، إذًا عليك يا عبد الله أن تحذر من ذلك، الله ﷻ لا يمكن أن يرضي أن يشرك به تبارك وتعالى حتى ولو كان هذا الذي جُعل شريكًا لله ﷻ ذا مرتبة عظيمة حتى لو كان نبيًا، حتى لو كان نبينا محمد ﷺ الذي هو سيد ولد أدم عليه الصلاة والسلام الذي هو خير البرية عليه الصلاة والسلام ومع ذلك يجب أن تعرف أن لله حق وأن للنبي ﷺ حق، فالرب ربٌ والعبد عبدٌ نبينا ﷺ رسولٌ من عند الله ﷻ وهو أقرب البشر وأحبهم عند الله تبارك وتعالى ومع ذلك لا يجوزُ أن تصرف العبادةُ له عليه الصلاة والسلام، نبينا ﷺ عبدٌ لا يُعبد ورسولاً لا يُكذب، بل يُطاع ويُتبع عليه الصلاة والسلام بل هو ﷺ الذي علمنا هذا الأمر، ولذلك أشتد غضبه ﷺ لرجلٍ قال ما شاء الله وشئتَ، اخطأ في العبارة قال ماذا؟ ما شاء الله وشئتَ غضب عليه الصلاة والسلام اعتبر هذه الجملة جملةً قبيحة، فقال: «**أجعلتني لله ندًا؟ قل ما شاء الله وحده**» عبارة فقط، فكيف لو سمع النبي ﷺ من يقول يا رسول الله أغثني، من يقول يا رسول الله أغفر ذنبي، من يقول يا رسول الله المدد المدد؟ ما ظنكم أن يفعل نبينا ﷺ؟ والله إنه ليغضب من هذا القائل أعظم من غضبه لمن قال ما شاء الله وشئت، وهذا أمرٌ قطعي لا شك فيه ولا شبهة، إذًا الله ﷻ لا يرضى أن يشرك به ولو كان هذا الذي أُشرك مع الله ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلاً طيب ما الدليل؟ لاحظ إن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لا زال يعلمنا ويسير بنا على المنهج الصحيح وهو أن نتعلم العلم بماذا بدليله يعلمنا دائمًا الدليل خذ الحكم بدليله لا تأخذ هذا الكلام لأنه كلامي، لكن خذ هذا الكلام لأن عليه دليلاً من كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

قال رَحَمَهُ ٱللَّهُ: (والدليل قول الله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدً﴾.

وأن المساجد لله، لله اللام هنا تقتضي الاختصاص، هذه اللام تدل على أن المساجد خاصةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، وبالتالي لا يجوز أن يشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ أحد، ولاحظ أنه قال فلا تدعو مع الله أحدًا، كلمة أحدًا كلمةٌ نكرة وهي في سياق النهي، قال العلماء: "النكرة في سياق النهي تعم"، إذاً لا يجوز إن يشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ أي أحد ولو كان من كان.

واختلف العلماء في معنى المساجد هنا لهم في هذا خلافٌ، وتعددت أقوالهم في تفسير المساجد:

منهم من قال إن المساجد هي: المواضع المخصصة للعبادة هي المساجد المعهودة كهذا المسجد الذي نحن فيه الآن، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ وهذا مروي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا

قال قتادة رَحَمَهُ ٱللَّهُ: "كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا مع الله عَزَّوَجَلَّ" اليهود والنصارى إذا دخلوا معابدهم فإنهم يشركون مع الله عَزَّوَجَلَّ، يدعون عزيراً أو يدعون عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو يدعون مريم يقعون في الشرك. الله ينبهنا ويحذرنا بألا نكون كأولئك، فإذا دخلنا المساجد فإننا نخصها بطاعة الله تبارك وتعالى، ولا نشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ في هذه المساجد أي أحد، نجعل العبادة في المساجد خالصة لله تبارك وتعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدً﴾.

قال بعض أهل العلم: المساجد هي الأرض كلها، لأنها جميعٌ موضع للصلاة «**وجعلت لي الأرض مسجدا**» إذا كأنه قال فلا تشركوا بالله عَزَّوَجَلَّ في أي موضع.

القول الثالث: قالوا المساجد هي: مواضع أو أعضاء السجود، وبالتالي وأن المساجد أي أنكم لا تستعملوا هذه الأعضاء في طاعة غير الله تبارك وتعالى، استعملوا هذه المساجد يعني هذه الأعضاء في طاعة الله تبارك وتعالا وتوحيده.

القول الرابع: أن المساجد بمعنى السجود، مساجد ومفردها مسجدٌ أو مسجَدٌ، كثيرٌ من اللغوين يقول أن المفرد مسجد وذهب بعضهم كابن قتيبة إن المفرد مسْجَد، وأصحاب هذا القول معنى ما ذكروا قريب من القول الثالث، يعني لا يكون السجود إلا لله تبارك وتعالى وأن المساجد يعني وأن السجود لا يكون إلا لله تبارك وتعالى...

قال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ خاصة، خاصية لله عَزَّوَجَلَّ لا يُشرك مع الله فيها، قال: (فلا) أداة نهي صريحة ﴿ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدً﴾

الدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

دعاء العبادة: هو كل أنواع العبادة، أي عبادة لله ﷻ فإنه ينطبق عليها أنها دعاء، وبالتالي فلا يجوز صرف أي عبادة لغير الله تبارك وتعالى، **وضابط العبادة:** أن يكون فعل أو قول يحبه الله ويشرعه لنا، يعني يجعله طاعة لنا أو طاعة علينا له تبارك وتعالى،كل شيء تعلم أن الله يحبه و شرعه لعباده فاعلم أنه عبادة، وبالتالي الصلاة عبادة نعم؛ لأن الله يحبها و شرعها لنا، الدعاء عبادة نعم؛ لأن الله يحبه و شرعه لنا، إذاً كل ما علمت أن الله يحبه و يشرعه لنا فهو عبادة، أو كما قال شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف العبادة: هي اسم جامع لكل من يحبه الله و يرضاه يحبه لاحظ ويرضاه يعني يرضاه لنا و يشرعه لنا يرضى أن يكون طاعة له تبارك وتعالى (اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه الله تبارك وتعالى من الأقوال أو الأعمال الظاهرة و الباطنة) ظاهرة يعنى بالجوارح بالأعضاء تقوم بها بجسدك أو بلسانك، أو باطنة تقوم بها بقلبك، وسيأتي لهذه العبادة شرح مفصل ومفسر إن شاء الله تعالى فيما سيأتي.

قال: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ هذا النوع الأول إذاً كل عبادة تسمى دعاء، لماذا؟ قالوا لأن كل عابد لله كأنه يدعوا الله ﷻ بهذا العمل كأنه يسأل الله عملياً يصلي وحقيقة الحال لسان حاله يقول يا الله اغفر لي بهذه الصلاة، يصوم ولسانه حاله يقول يا الله أرحمني بهذه الصلاة، إذاً حقيقة الأمر أن العبادة أضحت ماذا؟ سؤالاً عملياً، فصح فيها أنها دعاء.

والنوع الثاني: دعاء المسألة يعني هذا السؤال المصدر بياء (يا الله – يا رحمن – يا رحيم) وهذا الذي يتبادر إلى الذهن من كلمة دعاء، إذا سمعنا دعاء فالغالب أنه لا يتبادر إلى الأذهان إلا دعاء المسألة، إذاً ما كان من أنواع الدعاء، يعني العبادة عموماً أو ما كان خصوصاً وهو الدعاء الذي هو السؤال والطلب،فإن هذا يجب أن يكون لله سبحانه وتعالي ومتي ما صرف لغير الله ﷻ فقد وقع الإنسان في حمئة الشرك، وقع في أكبر جريمة على وجه الأرض، طيب متى يكون الدعاء شرك بالله ﷻ أنتبه لهذه المسألة، يكون الدعاء شركاً في ثلاث صور، ثلاث صور متى ما سأل الإنسان فيها متى ما طلب فيها فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة:

أولاً: سؤال الميت مطلقاً: سواء إن كان عند قبره أو بعيدا عنه، أي سؤال يتوجه به الإنسان للميت فقد أشرك مع الله ﷻ، الشرك الأكبر أضحى حكمه حكم أبي جهل و أبي لهب سواء

....

بسواء، لا تستسهل هذه المسألة هذا الأمر في غاية الخطورة ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، إذن أشركتم مع الله إذا دعوتم غير الله ﷻ من الأموات، إذاً هذه الصورة الأولى، أي دعاء لميت سواء إن كان نبي أو كان ملكاً أو كان ولياً صالحاً أو كان ولياً طالحاً، أي ميت يسأل، يدعي. يطلب منه، وقع من فعل هذا في الشرك الأكبر عفاني الله وإياكم.

ثانياً: دعاء الحي الغائب: الطلب من الحي الغائب، هذا حي ليس بميت لكنه ليس حاضر عنك، ولا في حكم الحاضر عندك، يعني ليس تكلمه بالهاتف مثلا أو نحو ذلك، هذا غائب. كأن يقول إنسان مثلا يا شيخ فلان، يا سيدي فلان أنقذني أغثني، أنا الآن في المدينة لو قلت هذا وشيخي مثلاً في مكة أكون قد أشركت بالله ﷻ، إذا دعا الإنسان إذا سأل الإنسان حياً غائباً فقد أشرك بالله ﷻ، صرف لب العبادة لغير الله، أعتقد أن غير الله له سمع عام، وله علم شامل وعنده قدرة وسلطان على أن يوصل الخير بغير الأسباب المعهودة، وهذا ليس إلا لله ﷻ، إذا هذا جعل غير الله مثل الله.

الصورة الثالثة: أن يدعوا حياً حاضراً فيما لا يقدر عليه إلا الله: يدعوا بحي ليس بميت، وحاضر ليس بغائب ولكن يسأله ماذا، يسأله شيئاً لا يقدر عليه إلا الله، كأن يأتي مثلاً عند الولي ويقول يا سيدي فلان ما عندي ولد وأريد الولد، من الذي يهب الأولاد؟ الله ﷻ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ إذا لا يجوز أن تسأل أحد شيء إلا الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، هذا لا يجوز أن تسأله غير الله.

أو يقول مثلاً، يا سيدي فلان: أنبت لي الزرع، أنزل لي المطر، أغفر لي ذنبي، ومن يغفر الذنوب إلا الله، إذا هذه صور ثلاثة يجب أن نتنبه لها من يقع في واحدة منها، فقد أشرك مع الله الشرك الأكبر، وبالتالي نفهم أن من سأل، أنتبه، من سأل حي حاضر شيئًا في قدرة البشر فإنه ماذا؟ لا يكون مشركاً، من سأل حي حاضر سأل شيء في قدرة البشر فإنه ماذا؟ ما أشرك بالله ﷻ، ومهما كان فأحرص ما استطعت علي عدم سؤال أحد إستغناء بالله تعالى، فقد أخذ النبي صلي الله عليه وسلم البيعة على جماعة من أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئًا، لأنك إن سألت أحداً فأنك

....

تكون قد ذللت له والأولى بالمسلم أن يستغني بالله ﷻ، طيب قال جل وعلا: ﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

وهذا أمرا يجب أن نتنبه له، ونهي عظيم يجب أن ننتهي عنه، أمرٌ بعبادة الله وحدة، ونهي عن الشرك به جل وعلا.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (الثالثة: أن من أطاع الرسول ﷺ ووحد الله لا يجوز له موالاة من حادة الله ورسوله ولو كان أقرب قريب و الدليل قولة تعالى ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﷺ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

هذه المسألة الثالثة مهمة، وما أكثر الغفلة عنها في هذا الزمان المتأخر، نبهنا الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على مسألة عظيمة وهي مسألة **(البراءة من أهل الشرك)**، الإيمان بالله ﷻ له لوازم، من لوازم الإيمان أن يحب الإنسان أهل الإيمان، وأن يبغض الشرك وأهل الشرك، لأن الشرك معاندة لله تبارك وتعالى، بل هو أعظم معاندة لله سبحانه وتعالى، بل هو الذنب الوحيد الذي لا شهوة تدعوا إليه، ولذا كان أشنع الذنوب على الإطلاق، الشرك ذنب ليس هناك شهوة نفسية تدعوه إليه، إنما هو مرض في القلب، فساد محض، أي ذنب آخر مثلاً إذا سرق الإنسان، أن هناك شهوة لماذا شهوة للمال يريد المال، يريد أن يتملك، يزني عفاني الله وإياكم لماذا؟ لأن عنده شهوة للنساء، ولكن لماذا يشرك، ليس هناك شهوة في النفوس للشرك، إذا هذا فساد محض، هذا مرض والعياذ بالله مستولي على القلب صاحبة مريض، ليس له سبب يدعوه إلى أن يشرك لله ﷻ، إذا هذا الذنب العظيم الذي هو أشنع الذنوب على الإطلاق، من لوازم الإيمان أن يبغض، وأن يبغض أهله، ولذا تأمل معي قوله سبحانه وتعالي ﷻ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أنتبه هذا تنبيه من الله ﷻ لنا، أن يكون إبراهيم عليه السلام والمؤمنون معه قدوة لنا، ومثال نتأسى به، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ماذا فعلوا، إذ قالوا لقومهم، قومهم كفار مشركون،﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ لاحظ البراءة كانت من المشركين قبل المعبودات ﴿ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ما حقيقة هذه البراءة؟ قال كفرنا بكم ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ إلى متى؟ قال (أبدا) إلى ما لا نهاية أبدا، فقط في حالة واحدة،﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾

فقط في هذه الحال تنتهي هذه الحالة وهذه البغضاء إذا آمنتم بالله وحده انتهت العداوة، وانقلبت إلى ولاية انقلبت إلى محبة في الله تعالى، إذاً من لوازم الإيمان بغض الشرك وبغض أهل

....

الشرك والبراءة منهم. وهذا الموضوع موضوع دقيق ويحتاج إلى تفصيل وذلك أن موالاة الكفار ذنب عظيم.

الموالاة: أصلها المحبة، ثم لها فروع بعد ذلك (النصرة والمصادقة) وما إلى ذلك. هذه فروع لوقوع المحبة في القلب أصل الموالاة المحبة. ولها بعد ذلك ثمرات ولها بعد ذلك فروع. هذه الموالاة قد تكون كفرًا بالله ﷻ، وقد تكون معصية، ولابد حين الحكم على هذه القضية من التفصيل.

قد تكون موالاة كفرًا بالله ﷻ، من ذلك ما نص عليه علماء التوحيد في نواقض الإسلام مظاهرة المشركين ومعاونالهم على المسلمين، من ذلك المسرة بارتفاع دين الكفار، يفرح إذا كان الكفار أهل الكفر ودينهم ارتفع في المقابل أنه يحزن إذا انخفض حال أهل الإسلام والله المستعان.

من ذلك أيضًا محبة الكفار لأجل كفرهم يعني يرى كافرا ملتزما بدينه، دينه الباطل فيحبه لالتزامه بهذا الدين.

يرى شخص يسجد لصنم فيحب منه هذا الفعل، هذه والعياذ بالله موالاة كفرية. هذه موالاة كفرية يحب الكافر لأجل كفره.

أما التي هي دون ذلك، والتي تكون معصية لله تبارك وتعالى، فذلك بأن يحب الكفار لأمر دنيوي، لا يحب الكافر لأجل كفره، إنما يحبه لأجل أمر دنيوي، كما يحصل من كثير من العصاة أنهم يحبون لاعبين أو يحبون ممثلين أو فنانين أو ما إلى ذلك ولا يحبه لكفره بل يجب أن يبغضه؛ لأنه كفر بالله تبارك وتعالى. لكنه يحبه لأمر دنيوي لصداقة لجيرة لقرابة إلى غير ذلك، فمثل ذلك لا شك أنه معصية.

والعلماء في هذا الباب منهم من يجعل المسألة على قسمين؛ يقولون: موالاة تامة وموالاة ناقصة أو جزئية، ومنهم من يجعل المولاة التامة اسمها تولي، والموالاة الناقصة يسميها موالاة، يعني يفرق بين التولي والموالاة، التولي يعني الموالاة الكاملة ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

هذا هو الكفر بالله ﷻ، أما ما كان دون ذلك من المحبة لأجل أمر دنيوي أو مشابهتهم فيما هو من خصائصهم وما شاكل ذلك فإن هذا يعتبر من موالاة التي هي دون هذا الأمر.

الشاهد أن التوحيد والإيمان يقتضي من المسلم أن يكون متباعدًا من الكفر ومن أهل الكفر، لأنه يغار على حرمات الله ﷻ.

....

هذا الكافر بالله ﷻ يبغض دينك، ويكفر بنبيك ﷺ يقول النبي محمد ﷺ هذا كاذب ليس برسول، ومع ذلك تحبه وتواليه؟ كيف يتأتى ذلك مع الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾

لاحظ عدوي وعدوكم، عدو لله ﷻ كيف تتخذه وليًا،﴿ لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحق ﴾ كيف يتأتى هذا الأمر؟! هو يكفر بما جاءك من الحق، يكفر بالإسلام، بنبيك، بنبي الإسلام ﷺ وأنت تقابله بالمحبة؟! هذا يتنافى مع الإيمان الواجب يا عبد الله. إذًا لا يجوز لك أن تبادل هؤلاء الكفار بهذه المحبة، ولذا قال ﷺ «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**» من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان.

اذن هذه قضية مهمة ينبغي على المسلم أن يتنبه لها، وما أكثر التفريط فيها مع الأسف الشديد، وما أقل التنبه والتنبيه عليها مع الأسف الشديد في هذا الزمان. لكن هذا كله جانب الموالاة شيء لكن لا بد أن نتنبه إلى جانب آخر وهو جانب المعاملة.

المعاملة شيء والموالاة شيء آخر؛ المعاملة يحكمها قول الله جل وعلا ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

اذن المعاملة بالحسنى، التعامل معهم في أمور دنيوية، تبادل المصالح بيننا وبينهم هذا أمر مباح، و لا سيما إذا صحب ذلك نية الدعوة، يتلطف الإنسان بهم لأجل دعوتهم ولأجل كسب قلوبهم، والنبي ﷺ تعامل معهم، استأجر عبد الله بن أريقط وهو مشرك على دين قومه في قضية عظيمة وهي الدلالة على طريق الهجرة، النبي ﷺ زار عمه أبا طالب وهو في دين الكفر في آخر لحظات حياته ليدعوه إلى الله، وزار ابن جاره اليهودي لأجل أن يدعوه إلى الله وهداه الله ﷻ إلى الإسلام بسببه، وهكذا نظائر كثيرة في سيرة النبي ﷺ تدل على أن التعامل مع الكفار ولو كان في أمر عظيم فلا حرج فيه.

....

ولذا النبي ﷺ استعار يوم حنين بصفوان رضي الله عنه وكان إذ ذاك مشركًا أدرعًا، وهذا من الأمور التي فيها تعامل والتي فيها تبادل وفيه تحصيل مصالح بين المسلين وبين الكفار في قضية لا حرج فيها شرعًا بشرط أن تبقى القضية العقدية ثابتة.

القضية العقدية قضية تتعلق بالقلب تعتقد بغضه وتعتقد كفره هذا شيء لا تسامح فيه، أما المعاملة إن كان كافرًا وما أخرجنا من ديارنا وما سب ديننا ولا تعرض للمسلمين فإنه لا حرج في التعامل معه وأما إن كان حربيًا فإنه يعامل بحسب ذلك، فالمعاملة شيء والعقيدة القلبية شيء آخر.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، ولذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها،كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾

فهذا الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو خاتمة مقدمة الشيخ لكتابه العظيم ثلاثة الأصول، هذا التنبيه تنبيه في بيان حقيقة ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال: **(اعلم أرشدك الله لطاعته)** ولا يزال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يعلم المعلمون أسلوباً فيه تلقيح وتحبيب للمتعلم في العلم، وهو الدعاء له.

(اعلم أرشدك الله لطاعته) ومن أرشده الله لطاعته فإنه يكون الفائز حق.

(أن الحنيفية ملة إبراهيم) ملة: منصوبة على البدلية أو على أنها عطف بيان، **الحنيفية:** هي ملة إبراهيم.

وأصل الحنف في اللغة: هو الميل، ولذلك قالوا لمائل الرجل الأحنف، فالحنف هو الميل وفي الاصطلاح الحنيف هو المائل عن الباطل إلى الحق، والمائل عن الشرك إلى التوحيد.

وهكذا كان إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان حنيفاً مائلاً عن الشرك إلى التوحيد، فإنه قد خرج بهذه الدعوة التي أرسله الله عَزَّوَجَلَّ، أرسله الله عَزَّوَجَلَّ بها إلى الناس والمجتمعات في ذلك الوقت متجهة إلى جهة واحدة هي الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فمال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن هذا الاتجاه إلى التوحيد فكان حنيفاً عليه الصلاة والسلام. وأضحى هذا اللقب لقب مدح فيمدح به من كان حنيفاً فإنه يمدح به؛ لأنه صار على طريقة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم) الملة ذكر كثير من أهل العلم أنها الدين والتحقيق أن الملة أخص من الدين.

الملة: هي أصل الدين، أو جملة الدين فلا يقال لتفاصيل الشريعة إنها ملة إنما الملة هي أصول الدين ومبانيه ومعاقده. ثم إن الملة لا تأتي إلا مضافة إلى نبي من الأنبياء فلا يقال: ملة الله مثلاً أو ملة فلان، إنما يقال: ملة إبراهيم ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾

....

قال يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إذاً الملة تضاف إلى الأنبياء، هذه هي ملة إبراهيم عليه السلام وقد أمره الله تبارك وتعالى -أعني نبينا ﷺ- بإتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وملته هي التوحيد هي الإقبال على الله تبارك وتعالى، والبراءة من كل معبود سوى الله تبارك وتعالى، وإنما أمر الله عز وجل بإتباع ملة إبراهيم مع أن نبينا ﷺ أعظم قدراً من إبراهيم عليه السلام، وأعظم قياماً بالتوحيد وواجباته منه، وهذا مما لا يُختلف فيه ألبتة، لكن أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بإتباع ملة إبراهيم لعدة أمور:

أولاً: لأن إبراهيم عليه السلام هو المتقدم عليه في الزمن فناسب أن يؤمر بإتباع سبيله.

وثانياً: أن في الأمر بإتباع ملة إبراهيم عليه السلام وبيان أن هذا الدين ما هو إلا امتداد لملة إبراهيم عليه السلام، في هذا إلزام لجميع الطوائف وجميع الملل، فجميع الناس يحبون ويقدرون ويعظمون إبراهيم عليه السلام. فاليهود تدعي أنها تسير على خطى إبراهيم عليه السلام، والنصارى كذلك بل والمشركون الأولون -مشركو العرب- كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم، وكل أولئك كانوا مخالفين في الحقيقة لملة إبراهيم ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أسلم وجهه لله عز وجل وما كان من المشركين.

إذا كان من الحكمة أن يؤمر النبي ﷺ بإتباع ملة إبراهيم عليه السلام؛ لما في هذا من الإلزام والإرغام لأعداء دعوة التوحيد، فما الذي بقي لكم من عذر حتى لا تتبعوا النبي ﷺ وهو الذي ما جاء بشيء جديد، دعا لما دعا إليه أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإبراهيم عليه السلام له شأن عظيم في هذا الباب في باب التوحيد، فإذا ذُكِر إبراهيم عليه السلام ذُكِر التوحيد وذكرت الهداية وذكرت الغيرة على دين الله تبارك وتعالى، دين إبراهيم عليه السلام هو التوحيد هي حقيقة الهداية، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ يعني هذه هي حقيقة الهداية، ملة إبراهيم عليه السلام هي الصراط المستقيم وهي الدين القيم ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، هذه الملة هي الملة السمحة وهي الملة التي يفوز صاحبها وهي التي أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بإتباعها ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، إبراهيم عليه السلام إمام

....

الحنفاء وأبو الأنبياء وداعية التوحيد ومكسر الأصنام، والذي أعلن براءته من كل معبود سوى الله ﷻ، هو مكسر الأصنام وباني الكعبة، هو الذي سمى المسلمين بدين الإسلام، هو سماكم المسلمين من قبل، هو الذي نشط في الدعوة إلى التوحيد وإلى لا إله إلا الله وجعلها كلمة باقية في عقبه، أعلن انقطاعه التام لله تبارك وتعالى ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ هذا هو إبراهيم عليه السلام وهذه هي ملته عليه الصلاة والسلام، وهذا هو الذي أُمر أهل التوحيد جميعاً باقتفاء أثره حتى إن نبينا الكريم ﷺ كان يعلمنا -يعلم هذه الأمة- أن تستذكر هذه الحقيقة في كل صباح ومساء، قضية نحتاج دائماً إلى أن نذكر أنفسنا بها. ففي مسند الإمام أحمد والنسائي في عمل اليوم والليلة أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا «**أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين**» وفي المساء القضية نفسها تكرر «**أمسينا على فطرة الإسلام إلى آخره**» إذا هذه قضية نحتاج معشر المسلمين إلى أن نذكر أنفسنا بها فهي القضية العظمى في حياتنا، فالله ﷻ خلقنا لكي نكون على هذه الملة -ملة إبراهيم عليه السلام وملة محمد عليه الصلاة والسلام- وملة جميع الأنبياء والمرسلين ألا وهي التوحيد واجتناب الشرك. ما هي هذه الملة؟.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (أعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، ولذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها أن تعبد الله)

أن تعبد الله مخلصاً له الدين، هذه خلاصة تعريف ملة إبراهيم عليه السلام؛ عبادة الله تعالى وحده، وهذا هو الذي خلق الله عز وجل الخلق من أجله وخلقهم لها، خلقهم من أجل أن يكونوا على هذه الملة، هذه الغاية التي من أجلها خلق الله عز وجل الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وقد علمنا في درس أمس ما يتعلق بهذا الموضوع وهو الحكمة من خلق الله عز وجل الخلق، وقلنا: إن الله عز وجل خلق الخلق بالحق، والحق يتضمن غايتين، غاية مرادة من الناس وغاية مرادة بهم، أما الغاية المرادة من الناس فهي التوحيد عبادة الله وحده، إلتزام ملة إبراهيم عليه السلام ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وأما الغاية المرادة بهم فهي الجزاء جزاء العباد على حسناتهم وأعمالهم الصالحة بفضله تبارك وتعالى وعلى اجتنابهم الطريق الحق وارتكابهم ما حرم أنه يوازنهم بالعدل سبحانه وتعالى، ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ والذين كفروا لهم عذاب شديد﴾، إذا ليجزي اللام لام التعليل فالله عز وجل خلق الخلق لهذه الغاية المرادة بالعباد وهي أن يجازيهم سبحانه وتعالى.

إذا هذه هي حقيقة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، ودعوة أبيه إبراهيم ودعوة جميع الأنبياء والمرسلين، هي أن يعبدوا الله مخلصين له الدين، مخلصين له العبادة، له سبحانه وتعالى وهذا هو حقيقة التوحيد، وهو ما سيشرحه الشيخ في كلامه الآتي في هذه الرسالة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون ﴾، ومعنى يعبدون يوحدون).

هذه الآية ترجمت أن الإرادة الدينية الشرعية لله تبارك وتعالى، فإرادة الله عَزَّوَجَلَّ من خلق الخلق، الإرادة الدينية إنما كانت لأجل أن يعبد تبارك وتعالى، ليس هي الإرادة الكونية التي هي بمعنى المشيئة، فإنه لو كان ذلك كذلك لكان جميع الخلق عابدون لله عَزَّوَجَلَّ موحدون، لكن هذه إرادة شرعية الله عَزَّوَجَلَّ يريد من العباد أن يعبدوه يعني يريد منهم شرعاً، وهذه الإرادة مرادفة لمعنى المحبة يعني خلقهم وهو يحب أن يكونوا عابدين موحدين له تبارك وتعالى، وليست هذه هي الإرادة الكونية، وهذا التفسير الذي ذكره الشيخ هو التفسير الواضح لهذه الآية، فإن العبادة لا تكون عبادة إلا بالتوحيد أما عبادة لا توحيد فيها فإنه لا قيمة لها. أرأيتم الصلاة؛ صلاة بلا طهارة هل تنفع؟ ليست بصلاة نافعة، كذلك العبادة التي لا توحيد فيها ليست بعبادة في الحقيقة، إذا لا تكون العبادة عبادة إلا بالتوحيد، ولذا فسر الكلبي وغيره من أهل العلم هذه الآية بما ذكره الشيخ، قال: ومعنى يعبدون يوحدون، والتوحيد هو عبادة الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له، عبادة مخلصة يتوجه بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ دون غيره، هذا هو التوحيد وهو أعظم ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به كما سيأتي.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه).

هذه القاعدة ينبغي عليك أن تحفظها يا طالب العلم، وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، هذه القضية ينبغي أن تكون منك على بال.

أعظم ما أمر الله به التوحيد، **التوحيد:** مصدر وحد- يوحد- توحيداً، وهو في **اللغة:** جعل الشيء واحداً أو الحكم على الشيء بأنه واحد.

وأما في **الشرع:** فهو إفراد الله تعالى بالعبادة مع اعتقاد وحدته في صفاته وأسمائه وربوبيته، هذا هو التوحيد وهو أعظم ما أمر الله تعالى به وهو أعظم فضلاً على العباد وجزائه أعظم فضل على العباد، التوحيد شأنه عظيم.

كثير التوحيد ينجي من دخول النار، وقليل التوحيد ينجي من الخلود في النار بفضل الله ﷻ ورحمته.

لو أتى الإنسان ربه جل وعلا ومعه توحيد ولو يسير فليبشر بالنجاة، إما أن تكون نجاته نجاة مطلقة ينجو من دخول النار أصلاً أو على الأقل أنه ينجو من الخلود فيها، ينجو من أن يكون دخوله دخولاً مؤبداً.

فالعصاة الذين لقوا الله ﷻ وعليهم من المعاصي التي لم يتوبوا منها ما شاء الله وما حصل منهم من جرائم اقترفوها مهما عظمت ومهما كثرت لكنهم أتوا بالتوحيد، ما أشركوا بالله تبارك وتعالى فهم والله على خير، وحالهم بين أمرين: إما أن يعفوا الله ﷻ عنهم ابتداء قد يشاء الله ﷻ أن يعفوا عنهم ابتداء فيدخل الجنة مباشرة، وإما أن يعذب بأن يدخل النار دخولاً مؤقتاً ثم يخرج من النار فيكون مآلهم إلى الجنة.

إذا التوحيد شأنه عظيم أما أولئك الذين أتوا بالدرجات العلى من التوحيد، أخلصوا أعمالهم وأخلصوا أقوالهم وأخلصوا اعتقاداتهم كلها لله تبارك وتعالى فأتوا بالدرجات العلى من هذا التوحيد فإن شأنهم شأن آخر، فهؤلاء ناجون من دخول النار أصلاً وإلى جنات النعيم مباشرة بفضل الله تبارك وتعالى ورحمته.

....

إذا هذه هي القضية الأهم في دعوة النبي ﷺ -التوحيد- أول ما دعا إليه النبي ﷺ التوحيد، وأعظم ما دعا النبي ﷺ إليه التوحيد، وأكثر ما دعا إليه النبي ﷺ التوحيد.

كان يعلم أمته التوحيد في كل وقت، في جميع العبادات يذكرهم بالتوحيد كما سمعنا قبل قليل في ذكر الصباح والمساء «**أصبحنا على فطرة الإسلام إلى آخره**» تجديد للتبكير بالتوحيد في كل صباح ومساء، إذا فتح الإنسان عينه بعد النوم فإنه يبدأ بتجديد عهده بالتوحيد، فأول ما يقرأ في سنة الفجر ما يجدد العهد بالتوحيد، التوحيد العملي والتوحيد العلمي ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ﴾، إذا ختم يومه يختمه بتجديد التبكير بالتوحيد فإنه يصلي في سنة المغرب بما يذكره بهذا العهد العظيم -عهد التوحيد- يقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ﴾ تجديد التوحيد توحيد عملي وتوحيد علمي، إذا ختم ليلته فآخر ما يختم به الوتر فآخر ما يقرأ في هذا الوتر أيضاً ما يذكره بالتوحيد. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ﴾، وكتاب الله ﷻ الذي يتلوه كله في التوحيد، إذا فتح المصحف أول ما يقرأ سورة الفاتحة التي هي أعظم سورة في كتاب الله والتي يكررها المسلم في كل يوم على الأقل سبعة عشر مرة تحتوي على أنواع التوحيد الثلاثة، وإذا ختم المصحف آخر سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة، وفيما بين ذلك آيات التوحيد لا تكاد أن تحصى.

إذن التوحيد هو لحمة هذا الدين وسداه، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه، ولذا كان من المتعين على المسلم أن يهتم بالتوحيد، وأن يتعلم التوحيد وأن يعرف شبهات المخالفين للتوحيد حتى يكون منها على نجاة وأمان بتوفيق الله سبحانه وتعالى.

التوحيد دل استقراء النصوص على أنه ثلاثة أنواع:

توحيد في ربوبية الله ﷻ.

وتوحيد في ألوهيته.

وتوحيد في أسمائه وصفاته.

أما توحيده في ربوبيته: فهو اعتقاد أن الله تعالى وحده هو الخالق الرازق المدبر، فالخلق والرزق والتدبير لله رب العالمين وحده لا شريك له.

وتوحيد الله في ألوهيته: يعني توحيده في العبادة بأنه يوحده تبارك وتعالى في العبادة دون غيره، كل أنواع العبادة حق خالص لله تبارك وتعالى لا يجوز أن يصرف منها شيء لغيره، هذا هو توحيد الألوهية.

توحيد الأسماء والصفات: توحيد الله ﷻ بما له من نعوت الجلال والجمال والكمال، فهذا مما اختص الله تبارك وتعالى به لله ﷻ أسمائه الحسنى وصفاته العليا، يجب أن يعتقد المسلم أنها خاصة له تبارك وتعالى لا يشرك فيها غيره، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقد جمع الله ﷻ هذه الأنواع في قوله ﷻ: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا توحيد الربوبية، ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ هذا توحيد الألوهية، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات وغير هذا كثير، جاءت الأدلة مجموعة وجاءت الأدلة على كل نوع على انفراد بكثرة، وهذه الكلمة كلمة أثرية، كلمة جاءت في النصوص كلمة عظيمة كلمة التوحيد دل عليها سنة النبي ﷺ، ولذا في الصحيحين لما بعث النبي ﷺ معاذ إلى اليمن، قال: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله**» التوحيد، وفي مسند الإمام أحمد وغيره أن النبي ﷺ لما سأله عمرو بن العاص عن الوفاء بالنذر الذي نذره أبوه العاص بن وائل وكان قد مات على الشرك، فقال ﷺ: «**أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فأعتقت عنه وتصدقت عنه وصمت عنه نفعه ذلك**» فدل هذا على أن هذه الكلمة وردت في سنة النبيﷺ.

وكذا وردت في لسان الصحابة، هذا جابر رضي الله عنهفي صحيح مسلم لما حكى حجة النبي ﷺ في حديثه الطويل، قال: "فأهلّ ﷺ في التوحيد «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**» بعكس تلبية المشركين الشركية التي كانت "لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك".

إذا هذا هو التوحيد وهو أعظم ما أمر الله تعالى به، وأما الشرك فهو أعظم ما نهى الله تعالى عنه، قلنا في درس الأمس أعظم ذنب وأكبر جريمة على وجه الأرض هي الشرك بالله تبارك وتعالى، ولذا ينبغي أن يحذر الشرك ولا يحذره إلا من كان عالماً به، إذا كنت تعرف الشر فإنك بتوفيق الله ﷻ تجتنبه، أما إذا كنت تجهله فما أسرع أن تقع فيه، الشرك كما قلنا أعظم جريمة على وجه الأرض، لما؟ لأنه أعظم الذنوب ولأن عقوبته أعظم العقوبات، أما كونه أعظم الذنوب فقد دل عليه قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، قال ﷺ كما في الصحيحين لما سأله بن مسعود رضي الله عنه: أي الذنب أعظم؟ قال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» هذا هو الشرك.

لما كان الشرك أعظم الذنوب؟

أولاً: لأن حقيقته انتقاص لله تبارك وتعالى، المشرك منتقص لله ﷻ، ما قدر الله حق قدره ولذا صرف خالص حقه لغيره، لمن انتقص الله تبارك وتعالى ألا يغضب عليه يا إخواني؟ بلى والله يستحق أن يغضب الله عليه.

ثانياً: لأن الشرك مضادة للغاية التي لأجلها خلق الله الخلق، الله خلقنا للتوحيد فجاء المشرك بعكس ذلك، إذا الشرك أعظم معاندة لله ﷻ، المشرك يعاند الله. الله يخلقه للتوحيد فهو ليس آتياً بهذا التوحيد الذي خلقه الله من أجله بل أتى بضده وعكسه تماماً وهو الشرك.

أيضاً: الشرك ظلم؛ لأن فيه مساواة غير الله بالله، تشبيه غير الله بالله، ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، معنى يعدلون يساوون، يساوون غير الله بالله وهذا ظلم عظيم لأنه وضع للشيء في غير موضعه فاستحق الشرك أن يكون أعظم الذنوب. وفي الجهة الأخرى عقوبته أعظم العقوبات، أولاً هو الذنب الذي لا يمكن أن يغفر ألبتة، حكم الله وحكمه فصل تبارك وتعالى لا يبدل القول لديه أن من لقيه بالشرك، ما تاب من الشرك فإنه لا غفران له، بل ليس له

....

إلا أن ييأس من رحمة الله ﷻ ﴿إِنَّ اللَّــهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ أما إن تاب صاحبه منه فإن الله يعفو عنه ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾.

ثالثاً: أن هذا الذنب محبط لجميع الأعمال، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهم الأنبياء، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ الخطاب موجه إلى نبينا ﷺ ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ هذا وهو معصوم عليه الصلاة والسلام من الوقوع في الشرك لكن هذا دليل على عظمة هذا الأمر وتحذير لنا معشر أمته، أنه إذا كان النبي ﷺ على فرض وقوعه في الشرك وحاشاه من ذلك، فهو المعصوم منه عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك على فرض هذا الاحتمال فإن الله ﷻ سوف يحبط جميع أعماله.

إذا هذا الشرك الأكبر الذي قطرة منه تفسد بحار الأعمال مهما لقي الإنسان الله تبارك وتعالى به من أعمال صالحة ولو تصدق بالملايين، ولو حج عشرات المرات، ولو كان يقوم الليل كله، ولو كان يصوم الدهر كله، لكنه أشرك مع الله تبارك وتعالى فو الله لا ينفعه ذلك كله، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾

الأمر الثالث: أن هذا الذنب وهو الشرك بالله ﷻ يرتضي الخلود في النار، هو الذنب الوحيد الذي إذا لقي الإنسان الله تعالى به فهو خالد مخلد في النار أبد الآباد، أي زمن يقدره عقلك فإن هذا المشرك سيبقي في النار –عافاني الله وإياكم– وما زاد عليه إلى ما لا نهاية، هذا يدلك على فخامة الأمر وعظمته وخطورته أيضاً.

إذن هذا هو الشرك وهو أعظم ما نهى الله تبارك وتعالى عنه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّـــهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

هذه الآية جمعت بين الأمرين، بين الأمر بالتوحيد والنهي عن ضده وهو الشرك بالله ﷻ، كل أمر في القرآن والسنة بالعبادة هو أمر بالتوحيد، لأنه لا عبادة إلا بالتوحيد فالله ﷻ لما أمر عباده في هذه الآية بعبادته، هذا أمر لهم بتوحيده ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّـــهَ ﴾، يعنى ولا تعبدوا غيره وهذا هو التوحيد، ثم قال: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ولاحظ أن كلمة شيئاً نكرة في سياق النهي فتعم كما قال علماء الأصول. إذا لا يجوز الشرك بالله ﷻ ولو كان هذا المشرك به أعظم عظيم، فالله لا يرضى الشرك ولو كان بنبي مرسل أو بملك مقرب فكيف بما هو دون ذلك من أشجار وأحجار أو حتى من الأولياء والصالحين!!

فإن الله ﷻ نهى عن الشرك به مطلقاً، كل شيئاً فإنه لا يجوز أن يشرك به مع الله تبارك وتعالى.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ).

هذا ولوج من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى صلب الرسالة وهو الموضوع الذي من أجله كتب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هذه الرسالة، وأسلوب الشيخ أسلوب تعليمي مميز، فهو يأتي أحياناً بالمسائل على صورة سؤال وجواب، يكون هذا أشحذ للذهن ويكون أثبت في الحفظ.

اقترح رَحِمَهُ اللهُ هذا السؤال: إذا قيل لك يا عبد الله يا من يريد نجاة نفسه، يا من يبحث عن الحق، ما هي الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة معرفتها؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: بأنها معرفة العبد ربه، ودينه ونبيه محمداً ﷺ.

ولاحظ أن هذه الأصول هي الأصول التي يجب أن يعيش المسلم في حياته جاهداً في تحقيقها، تحقيق العبودية لله والإتباع لنبيه ﷺ، والالتزام بدين الإسلام. لأجل أن يكون مسدداً في الجواب عن هذه الأسئلة إذا أنزل في قبره، هذه الأصول الثلاثة هي التي ستسأل عنها يا عبد الله والله في قبرك، لا تظن أن المسألة مسألة نظرية، مسألة تبحث في الكتب وتقرأ لأجل الثقافة، لا والله المسألة تبحثها وتقرأها لأجل أن تنجو عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

إذا وضعت في قبرك في هذه الحفرة الضيقة فإنك ستسأل عن هذه الأسئلة الثلاثة:

- من ربك؟
- وما دينك؟
- وماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ هو نبينا صلى الله علينا وسلم.

إذا عليك يا عبد الله أن تعد من الآن العدة لهذا الامتحان وهذا الاختبار الذي هو أعظم امتحان وأعظم اختبار، وكل ما في هذه الدنيا من امتحانات لا يساوي شيئاً أمام هذا الامتحان العظيم لأنه في غيره تكون السعادة أو الشقاوة، في ضوء جوابك تكون السعادة أو الشقاوة فإن كنت من أهل العلم والتوحيد والإيمان فإنك ستجيب بالجواب المسدد وإلا فو الله فإنها الخسارة، الخسارة التي لا يمكن استدراكها، ليس هناك دور ثان وفرصة جديدة لأن يعيد الإنسان جوابه في

....

هذا الامتحان، بل والله هو فرصة واحدة لا تتكرر فعليك يا عبد الله من الآن أن تجتهد في العلم ثم في العمل لكي تحصل الجواب، الجواب الذي يقر في قلبك لتظهر آثاره على جوارحك، جواب هذه الأسئلة الثلاثة وهي التي أراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجزاه عنا خيراً أن يعلمنا السبيل إلى معرفة الجواب السديد عن هذه الأسئلة الثلاثة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: (فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا ﷺ. فإذا قيل لك من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني، وربى جميع العالمين بنعمته وهو معبودي ليس لي معبود سواه).

مضى معنا في الدرس الماضي أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ذكر صلب الموضوع في هذه الرسالة وهو ما يتعلق بالأصول الثلاثة على أسلوب السؤال والجواب، تحفيزًا للهمم وتنشيطًا للأذهان، قلنا إن الأصول جمع أصل والأصل ما يبنى عليه غيره، وهذه الأصول هي التي ينبني عليها إيمان المؤمن ألا وهي معرفة العبد ربه ومعرفة العبد دينه ومعرفة العبد نبيه محمد ﷺ.

ثم بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في الأصل الأول ألا وهو معرفة الله جل وعلا، فالله ﷻ هو الرب العظيم الذي هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء. الله ﷻ هو ربنا.

قال: **(هو الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه)** الرب مضى معنا في درس الأسماء والصفات أنه هو السيد وهو المالك وهو المتصرف وهو المربي، ذكر الشيخ هنا المعنى الأخير وقلنا أن الرب هو المربي من التربية والتربية هي القيام على الشيء، وتدبير شأنه وإصلاحه والقيام عليه حتى يبلغ غايته. والله ﷻ هو الذي ربى جميع العالمين بنعمته، والنعمة هنا يراد بها الجنس ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّـــهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، ونعمة الله ﷻ يعني **جميع نعمه ترجع إلى نوعين:** إلى نعمة حسية، وإلى نعمة معنوية.

النعمة الحسية: هي ما أعطى سبحانه وتفضل وأغدق على عباده من صنوف الطعام والشراب والهواء والمال والأولاد وما إلى ذلك من هذه النعم التي بها قوام الحياة الحسية.

أما النعمة المعنوية: فهي نعمة الإيمان والهداية وصلاح القلوب، والله ﷻ هو الذي ربى العباد على هذه النعم وبهذه النعم، هو الذي هدى وهو الذي أصلح وهو الذي وجّه القلوب إليه تبارك وتعالى ووفق الناس لطاعته سبحانه ممن شاء الله ﷻ هدايته، وكل معاني الجلال والقدرة والفعل بل

....

والإحسان راجعة إلى هذا الاسم العظيم، ولذا كان اسم الرب لله ﷻ أحد الأسماء الثلاثة التي تعود إليها جميع أسماء الله سبحانه، وهي اسم الجلالة الله واسم الجلالة الرب، واسم الجلالة الرحمن.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإذا قيل لك من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي ليس لي معبود سواه).

الله ﷻ لما كان هو الرب، لما كان هو الخالق، لما كان هو المدبر، لما كان هو الرازق استحق أن يكون هو المعبود.

لما خلق وحده ودبر وحده ورزق وحده استحق أن يكون المعبود وحده. فالله ﷻ دليل إلهيته ربوبيته، والباب إلى عبوديته الإيمان بربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله ﷻ رب كل شيء إذًا هو المعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. والأصل أن يكون هذا الاسم لا ينصرف إلا إليه ﷻ، والأصل أن هذا الاسم لا يجوز أن يكون له جمع، لا يجوز أن تكون لهذه الكلمة صيغة جمع، أن يكون هناك معبودات، لأن المعبود واحد كما أن الرب واحد، لكن لما اجتالت الشياطين كثيرًا من بني آدم وأغوتهم عن دينهم، أصبح هناك معبودات وأصبح هناك أرباب عند عابديها وعند المتعلقين بها، وإلا في الشأن والحق أن الإله واحد وأن الرب واحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لذا فإن كلمة إله أضحت بعد دخول الشرك في بني آدم أصبحت كلمة إله تطلق على المعبود بحق والمعبود بباطل ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ﴾، إذًا كل ما جعله الإنسان معبودًا له وإن لم يسمه إلهًا فهو في الحقيقة إلهًا له، أما الله ﷻ فهو الإله الحق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّـهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾

قال رَحِمَهُ اللهُ: (والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم).

قال والدليل يعني من النقل يعني من الشرع، يعني من الكتاب والسنة قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الشاهد من الآية قوله سبحانه ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فالله عَزَّوَجَلَّ رب كل المخلوقات، كل شيء فالله عَزَّوَجَلَّ هو ربه؛ لأنه لا يوجد إلا خالق ومخلوق ليس ثمة أمر ثالث، كل ما هو موجود فهو راجع إما إلى خالق وإما إلى مخلوق، والله عَزَّوَجَلَّ وحده الخالق. إذًا كل ما سواه فهو مخلوق.

الله رب العالمين؛ العالمون: جمع عالم على الصحيح وإن كان بعض أهل اللغة يرى أن العالمين اسم جمع لا مفرد له.

والصواب: أن العالمين جمع مفرده عالم، والعالم هو الصنف من المخلوقات، كل صنف من المخلوقات فهو عالم، فالنبات عالم والبشر عالم والسماوات عالم والدواب عالم وهكذا، وجمع ذلك هو أن تقول هؤلاء هم العالمون والله رب العالمين، والعالم سمي بهذا الاسم لأنه علم وبرهان على خالقه، كما تقول: طابع لأنه يطبع به، تقول: خاتم لأنه يختم به، وتقول: عالم لأنه يعلم به الخالق تبارك وتعالى.

فالخلائق جميعًا براهين ودلائل وشواهد على الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالله عَزَّوَجَلَّ رب كل شيء ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فالله عَزَّوَجَلَّ رب كل شيء تبارك وتعالى، إذا هذا هو الدليل من الشرع على ربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإذا قيل لك: بما عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته)

كما تعودنا وكما علِمنا أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يربي طلاب العلم على المنهج الصحيح، وهو أخذ العلم بدليله، لاسيما في هذا الجانب العظيم ألا وهو جانب المعتقد، فكل مسألة يُرِدها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنك تجده لابد أن يؤيدها بدليل يشهد بصحتها، وذلك حتى يكون إيمان الإنسان في هذه المطالب العظيمة إيمانًا راسخًا ليس إيمانًا مزعزعًا، مبنيًا على تقليد محض فإنه يكون عرضه للخلل والضعف والانتكاس، ما الدليل على أن الله ﷻ هو الرب؟ كيف عرفت يا أيها المسلم ربك؟

نبه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ها هنا على دليل واحد، والرسالة كما قد علمت مبناها على الإيجاز، وإلا فهذا الباب باب عظيم ومبحث طويل، وفي الجملة الأدلة على معرفة الله ﷻ تنبني على ما هي معرفة الله ﷻ، كيف عرفت ربك؟ كيف عرفت ربوبيته؟ وكيف عرفت ألوهيته؟ وكيف عرفت أسماؤه وصفاته؟

إذًا معرفة الله ﷻ ترجع إلى هذه الأمور الثلاثة، هي: معرفة ربوبيته سبحانه، ومعرفة ألوهيته، ومعرفة أسماءه وصفاته. وكل نوع من هذه الأمور الثلاثة عليه أدلة كثيرة لكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ها هنا نبه على معرفة ربوبية الله ﷻ، وأورد عليها دليل المخلوقات، وهذا الدليل واحد من جملة أدلة كثيرة، لكن في الجملة الأدلة على ربوبية الله سبحانه، يعني الدليل على أنه الخالق الرازق المدبر **وهذا يستلزم بالضرورة دليلاً على وجوده ﷻ ترجع في الجملة إلى أربعة أنواع من الأدلة:**

أولاً: الدليل الشرعي والكتاب والسنة طافحتان بالأدلة على ثبوت ربوبية الله ﷻ.

ثانياً: دليل الفطرة.

ثالثاً: الدليل العقلي.

رابعاً: الدليل الحسي.

أما الدليل الفطري فإن الفطرة التي فطر الله الناس عليها دلت على أن الله ﷻ موجود وأنه هو الخالق المدبر لهذا الكون ﷻ، وهذه قضية لا شك فيها ولا اشتباه فيها بوجه من الوجوه، جميع العباد مفطورون على الإيمان بوجود الله ﷻ بل بربوبيته بل بألوهيته ﷻ، قال ﷺ كما في الصحيحين: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جذعاء**» ثم تلا أبو هريرة راوي الحديث رضي الله عنه ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾

إذن الفطرة شاهدة بأن الله ﷻ موجود وخالق ومتفرد بالتدبير ﷻ، وهذه القضية لا ينكرها إلا جاحد، فالجاحدون لوجود الله ﷻ لا شك أنهم كاذبون يجحدون بألسنتهم وقلوبهم وعقولهم شاهدة على ما يكذبون، ولذا موسى عليه السلام قال لأعظم المنكرين على مدى التاريخ لله سبحانه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ -وهو فرعون- فدل هذا على أنه كان يدرك ذلك، بل كل كافر يخفي ما لا يظهر، يعني يخفي شيئًا لا يظهره. ولذا قال الله سبحانه عن الكفار أهل النار: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾إذا هؤلاء المنكرون لله ﷻ وهم على مدى التاريخ شذاذ من بني آدم وإن كان قد أضحى لهم جعجعة في هذا العصر المتأخر الحديث، بل وفي السنوات الأخيرة على وجه الخصوص فإن هؤلاء مع ذلك شذاذ، وصوتهم وإن بدأ يسمع هنا وهناك فإنهم في الحقيقة في مجموع البشر لا قيمة لهم، وإن كانوا يجعجعون ويجلبون على ما هم عليه من الضلال بخيرهم ورجلهم لكنهم عند التحقيق فطرتهم تغلبهم، ولذا فإن الواحد من هؤلاء الذين ينكرون وجود الله ﷻ تجد أن فطرته تغلبه لاسيما وقت الشدائد.

﴿ وإذَا مَسَّ الإنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾، شاء أم أبي فإنه يجد من نفسه اضطرارًا إلى الفزع إلى خالقه ﷻ وإن كان طيلة أيامه ولياليه ينكر وجود الله ﷻ. إذن العباد جميعًا مفطورون

....

على وجود الله ﷻ وربوبيته، ولذا قالت الرسل عليهم الصلاة والسلام لأعدائهم ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾، لاحظ أن هذا الاستفهام استفهام إنكاري، يعني كيف يمكن أن تصل إلى هذا الحد وهو إنكار الله ﷻ، والآية وإن كان الراجح أنها في سياق إنكارهم عبوديته تبارك وتعالى إلا أنها تشمل بدلالة اللزوم هذا المعنى الذي نتحدث عنه وهو إنكار ربوبية الله ﷻ.

أفي الله شك؟ فإن الذي يكون فيه الشك إنما هو الشيء الذي يحصل اشتباه في دليله، أما ربنا جل وعلا فهو أدل على كل شيء بل هو الدليل على كل شيء ﷻ، هو أظهر من كل شيء، هو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، فكيف يشك في الله تبارك وتعالى؟

الله ﷻ يشهد كل إنسان في فطرته على وجوده ﷻ، ولذا تأمل في حال الإنسان في أي شيء من الأشياء، تجد أنه يقر بأنه لا يمكن أن يكون هناك أثر بلا مؤثر، لا يمكن أن يكون هناك مفعول بلا فاعل، لا يمكن أن يكون هناك مصنوع بلا صانع، هذه قضية فطرية. ولذا تجد الصبي إذا ضرب خلسة فإنه يلتفت ويصرخ ويقول: من ضربني؟ مع أنه ما درس شيئًا عن قاعدة السببية لكن هذا راجع إلى الفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها وهي مغروسة في هذا الصبي.

إذا الفطرة لها ما يدل على وجودها وما يدل على ثبوتها وما لا يستطيع أن ينكره أحد، لا يمكن أن يكون هناك إنسان سوي يزعم أن هذا الكون كله علويه وسفليه وسماواته وأرضه وأنه جميعًا وجد بلا موجد وبدون رب، هذا لا يمكن أن يقبله أي شخص عنده فطرة سوية.

لو أن إنسانًا كان يمشي في صحراء ثم وجد قصرًا عظيمًا مزيناً منقوشًا على أحسن ما يكون فقال له آخر: هذا القصر بني بدون بان، وجد هكذا صدفة، هل يقبل أي إنسانًا بفطرته مهما بلغ من الغباء والجهل؟ لا يمكن، مستحيل. إذن هذه قضية فطرية مركوزة في النفوس لا يمكن إنكارها، إنما يقع الوسوسة من الشيطان في نفوس بعض الناس فينساق، وربما تغلب عليه الشقاوة وعافاني الله وإياكم وإلا فلو أحسن التدبر فإنه لا يمكن أن يكون هناك استيقان بشيء على الإطلاق إلا ووجود الله ﷻ أدل عليه وأعظم منه، تأمل معي. قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

....

الآن فرعون يعلن كذبًا وجحودًا إنكار الله ﷻ، ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ يعني إن كنتم توقنون بأي شيء فإن ثبوت وجود الله ﷻ في النفوس أعظم منه، لاحظت معي هذه الدلالة ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فرعون يقول: هذا الرسول مجنون، موسى عليه السلام قال: أنت أحق بالجنون، إن كنت تعقل فلا يمكن ألبتة أن تنكر وجود الله ﷻ؛ إذا لا ينكر وجود الله إلا إنسان فاقد لعقله، أنت أقرب إلى الجنون وأحق بهذا الوصف.

إذا وجود الله ﷻ قضية فطرية مركوزة في النفوس وهذه مسألة لا تقبل الاشتباه، قد يقول قائل: إذا كان الأمر بهذه المثابة فلماذا جاء التذكير بها والتنبيه عليها، نجد في القرآن قوله تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾، نجد محاجاة بين موسى عليه السلام وفرعون، بين إبراهيم عليه السلام والنمرود، إلى غير ذلك من هذه الدلائل، لم إذن؟ الجواب أن في ذكر هذه الدلائل تحصيل فوائد ثلاث:

أولاً: تستفيد منها يا مسلم زيادة اليقين والطمأنينة، ومثل هذا لا شك أنه مطلب، يعني عندما يكون عندك دليل فأنت مصدق، لكن إذا كان عندك دليلان وثلاثة وأربعة وعشرة وعشرون ومائة وأكثر، فإنك تزيد أو تزداد يقيناً وتزداد طمأنينة وتزداد رسوخًا، هذا أولاً.

ثانيًا: أن مثل هذه الأدلة العقلية والحسية التي ستأتي إن شاء الله ربما يحتاجها الإنسان في وقت من الأوقات، ربما يوسوس الشيطان للإنسان في حال من الأحوال ضعف فيه إيمانه، أو استزله الشيطان أو استرسل مع بعض الوساوس، ربما تأتي لحظة يقع فيها الإنسان في نوع شك، هنا هو بحاجة إلى هذه الدلالة التي تعلمها.

....

الأمر الثالث: أن المسلم المتسلح بهذه الدلائل يستطيع بتوفيق الله سبحانه دعوة من استزله الشيطان -وأنا ذكرت قبل قليل أن فتنة الإلحاد أصبحت فتنة كبيرة في هذا العصر المتأخر، لأن هؤلاء الملاحدة على قلتهم وشذوذهم إلا أنهم أحسنوا استغلال وسائل الاتصال والتواصل المعاصرة في بث الشبه، والشبه الإلحادية شبه تافة لكن صوتها عال تحتاج إلى حسن تأمل وتدبر حتى يرد عليها، وهنا يأتي دور العالم وطالب العلم الذي تسلح بهذه الأدلة حتى يزيل غياهب الشك بتوفيق الله عمن وقع في مثل هذه الوساوس وفي مستنقع هذه الشبهات.

إذن هذا من الفوائد التي نجنيها في ذكر مثل هذه الدلائل.

أما الدليل الرابع وهو الدليل العقلي: فإنه يتنوع إلى عدة فروع لكن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ركز على دليل واحد يرجع في مجمله إلى قضية عقلية وهي دلالة الأثر على المؤثر، ما هي هذه الدلالة؟ هذه دلالة عقلية واضحة لا شك فيها، هي فطرية من حيث الأصل، وهي عقلية من حيث النظر والاستدلال من حيث ما سيأتي من أوجه عدة تحتاج إلى حسن تأمل، وذلك أمر يدركه كل عاقل مسلم أو غير مسلم، كل يقر بأن الأثر دليل على المؤثر.

إذا كنت تمشي في طريق فوجدت بعرة ملقاة، ماذا تقول؟ تقول هناك جملاً مر من هاهنا قطعًا، ولذا قال ذاك الإعرابي الذي ما درس ولا أخذ شهادات عليا لكن عنده عقل سليم وعنده فطرة صحيحة، قال: البعرة تدل على البعير والروث يدل على الحمير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج، أما يدل على الحكيم الخبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بلى والله.

هذه قضية عقلية لا يمكن للإنسان أن يتخلص منها، هذه دلالة لا حيلة معها للمنكرين لوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. جاء مرة قوم ممن جحدوا وجود الله عَزَّ وَجَلَّ عتوًا وطغيانًا إلى أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ، قالوا: نريد أن نناظرك، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: تريثوا سأخبركم بشيء ثم أجيبوا عنه ثم نتناظر، قال لهم: ماذا تقولون في سفينة في دجلة -في نهر دجلة- شأنها عجب كانت ترسو على الشط ثم تتحمل بالزاد ثم تسير إلى

الضفة الأخرى فتترل متاعها دون أن يكون مسيرًا لها أحد؟ ما يسيرها أحد، سفينة تأتي فتقف ثم تتحمل بالبضائع ثم تمشي إلى الضفة الأخرى ثم تترل بضاعها دون أن يكون هناك أحد يسيرها! ! قالوا له: هذا جنون، هذا كلام لا يقبله عاقل، فقال: يا لله العجب، أنكرتم هذا في سفينة، فكيف هذا العالم كله علوية وسفلية لا مدبر له! ! هذا أمر لا شك فيه ولا ريب. هذا الدليل هو الذي أشار إليه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن معرفة الله ﷻ عرفناها بآياته ومخلوقاته، هذا هو محور ما نتحدث عنه وهو دليل الأثر على المؤثر، وذلك يرجع إلى عدة مسائل.

هذه الدلالة يمكن أن نفرعها إلى عدة أمور:

أولاً: دِلالة الاختراع يعني دلالة الإيجاد من العدم، إذا كان هناك شيء وجد بعد أن لم يكن فالعقل قاطع بأن هذا الشيء لابد أن يكون هناك موجد له، إذن نحن نرى أشياء كانت معدومة ثم وجدت في البشر، في الحيوان، في النبات، في الأمطار، في البرق، في الرعد، إلى آخره. كانت معدومة ثم وجدت إذا لا يمكن أن تكون قد وجدت دون موجد، هذا هو دليل الاختراع.

قال ﷻ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾ إذن هذه القسمة محصورة، عندنا ثلاثة احتمالات: الاحتمال الأول أن يكون الإنسان قد خلق بلا خالق، يعنى وجد بلا موجد وهذا أمر مستحيل لا يمكن قبوله، أو يكونوا هم –يعني الناس– خلقوا أنفسهم، الإنسان خلق نفسه وهذه قضية أيضًا مرفوضة عقلاً. إذا ما بقي إلا احتمال ثالث وهو أن يكون الله ﷻ هو الذي خلقه.

الدِلالة الثانية التي ترجع إلى دلالة الأثر: على المؤثر هي دلالة العناية، ليست المسألة خلقاً فقط نستدل على الخالق بالمخلوق بل هناك درجة أرفع، ألا وهي أن الله ﷻ خلق الخلق على هيئة تكون فيها المخلوقات مناسبة للحياة ولتحصيل المنافع، هذا يسمى ماذا؟

دلالة العناية، يعني أن الله تبارك وتعالى خلق الخلق على صورة مناسبة للحياة، خلق الله ﷻ هذه الأرض لتكون مناسبة للحياة، جعلها مهاد، جعلها فراشًا، جعلها كفاتا ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وأَمْوَاتًا ﴾، يعني بها تحفظون في حال الحياة، وبها تحفظون في حال الموت. خلق هذا

....

الكون وجعله مناسبًا للحياة، جعل فيه هواء يمكن أن يستنشق ويعيش به الإنسان، جعل فيه ماء يمكن أن يشرب ويستساق، جعل فيه طعامًا، جعل فيه أسبابًا للحياة، كل شيء موجود فإنه دليل على عناية الله تبارك وتعالى في خلقه، وهذا دليله كل ما تراه، كل شيء تراه بعينك فهو راجع إلى هذا الدليل، إلى دليل الخلق بل إلى دليل العناية. ولذا ما أصدق قول من قال: إن لله ﷻ طرائق بعدد أنفاس الخلائق، لله ﷻ طرائق تدل عليه ﷻ طرائق بعدد أنفاس الخلائق، كل شيء إن تأملته فإنك تجده قد اعتنى الله ﷻ بخلقه، ومثل هذا لا يمكن ألبتة أن يكون قد وجد بدون موجد، قد خلق بدون خالق، لا يمكن ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ إلى أخره تجد أن كل شيء مخلوق بعناية، ك وهذا من أعظم الدلائل على وجود الله تبارك وتعالى بل على ربوبيته ﷻ.

الدلالة الثالثة هي دلالة الإتقان: وهذه أيضًا درجة أرفع من مجرد الإيجاد من العدم، هناك خلق وهو متقن أيضًا، الله ﷻ أحسن كل شيء خلقه، صُنع الله الذي أتقن كل شيء ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ تأمل في هذه الكائنات جميعًا التي تراها أو التي تعقلها أو التي تسمع عنها تجد أنها محكمة وتجد أنها متقنه غاية الإتقان، وهذا لا يمكن أن يكون قد جاء عبثًا بدون موجد، بدون أن يكون هذا الخالق خالقًا عليمًا حكيمًا ﷻ.

الدلالة الرابعة دلالة التسخير والتدبير: يعني أن الله ﷻ خلق الخلق وظهرت آثار قدرته وقهره وسلطانه في هذا الكون وهذا دليل عقلي بل وحسي مشاهد على وجوده تبارك وتعالى وعلى ربوبيته. أنت ترى أن الله تبارك وتعالى خلق الخلق وسخره وفق ما أراد، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله، كل شيء مسخر وكل شيء مسير وفق إرادة الحكيم الخالق تبارك وتعالى.

ولذا إذا تأملت تجد أن هناك أشياء عجيبة في هذا الكون ترشد العاقل إلى أن هناك خالقًا عظيمًا وراء ذلك، تجد أحوال الناس مثلاً في الرزق، الله ﷻ تفاوت بين العباد في ذلك، لا تجد أن

....

القضية راجعة إلى العقل أو الجد أو العمل، بدليل أننا نرى غبيًا غنيًا، وعالمًا فقيرًا هذا دليل على ماذا؟

دليل على أن هناك من يقدر الأشياء وييسرها ويسخرها ﷻ، تجد أن الإنسان الذي يريد الذكر -الابن الذكر- تجد أنه يرزق أنثى، وتجد الذي يريد الأنثى يرزق ذكرًا.

إذن هذا كله دليل على أن الله خالق وأن له تدبيرًا في هذا الخلق ﷻ فكل شيء عنده ﷻ بمقدار، كل شيء سخره تسخيرًا دقيقًا تبارك وتعالى.

إذن هذه كلها يا رعاك الله ترجع إلى هذه الدلالة التي تكلمنا عنها وهي دلالة الأثر على المؤثر وهي التي عبر عنها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فحوى كلامه بدليل المخلوقات.

إذن كل شيء دليل على الله تبارك وتعالى، وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد ﷻ، لهذا الحديث إن شاء الله تتمة نؤجلها إلى الدرس القادم.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل ربي الله الذي رباني وربي جميع العالمين بنعمتجه وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالِمِينَ﴾، وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم.

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما).

عقب المؤلف رَحِمَهُ اللهُ على ذكر الأصل الأول وهو معرفة الله عز وجل بسؤال، وهو بما عرفت ربك؟ يا أيها المسلم الذي اعترف بربوبية الله عز وجل، بما عرفت ربك؟ فكان جواب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بآياته ومخلوقاته، وكنا ذكرنا في درس أمس أن الآيات التي يعرف الله عز وجل بها تنقسم إلى آيات شرعية وهي ما جاء في الكتاب والسنة والدليل الفطري والدليل العقلي والدليل الحسي.

وذكرنا أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ذكرها هنا مراعاة للإيجاز الدليل العقلي وهو دليل الخلق وإن شئت فقل دليل الأثر على المؤثر وبيّنا في درس أمس أوجه دلالة هذا الدليل دلالة الاختراع ودلالة العناية ودلالة الإتقان ودلالة التسخير والتدبير، أما الدليل الحسي فهو كل ما دل على وجود الله عز وجل من طريق الحس وهذا يدخل فيه مخلوقات عز وجل ويدخل فيه غير ذلك مثل الآيات التي أجراها الله تبارك وتعالى على أيدي أنبيائه ورسله فإنها دليل بيّن على وجود الله سبحانه وعلى ربوبيته جلا وعلا.

وذلك أن هذا الدليل والآية والبرهان الذي أجراه الله عز وجل على يد رجل يذكر أنه نبي من عند الله ثم يبين لهم بأمر يشاهدونه بأعينهم هذا الدليل هذا لا يمكن إلا أن يكون من خالق قادر مدبر، بمعنى أن نبياً يريد إثبات نبوته وإقناع من أنكر هذه النبوة فيلقي عصاً تنقلب إلى ثعبان، يلقف ما بين يديه أو أن صخرة تخرج منها ناقة أو أن قمراً ينشق أو أن ماءً يخرج من بين الأصابع إلى غير ذلك مما أجراه الله تبارك وتعالى على أيدي أنبيائه ورسله وهو الذي يسمى عند كثير من العلماء من أهل الكلام وغيرهم بالمعجزات.

هذه دلائل حسية، مشاهدة وملموسة على وجود الخالق المدبر جل جلاله وقل مثل هذا في كرامات الأولياء فإنها على نسق ما يتعلق بالمعجزات وإن كانت دونها في الكم والكيف، أيضاً من الأدلة الحسية إجابة الدعاء وتفريج الكروب ممن يفزع إلى الخالق جل جلاله وهذا أمر محسوس ملموس يحسه

الإنسان في نفسه، ويحسه الإنسان في غيره، وكل واحد منا يعرف من نفسه أو يعرف من غيره أنه دعا الله ﷻ، ولجأ إليه فجاءه تفريج الكرب وجاءته الألطاف والبركات والإنعام من الله ﷻ.

إذن هذا دليل على أن هناك رباً سمع الدعاء وهو قادر على الإجابة ويفعل في سلطانه وملكوته ما يشاء، إذن هذا دليل حسي أيضاً على وجود الله تبارك وتعالى، وعلى كل حال أدلة وجود الخالق سبحانه وربوبيته أكثر من أن تحصر ولذا صدق من قال كما ذكرنا بالأمس إن لله ﷻ طرائق بعدد أنفاس الخلائق كل شيء تراه وكل شيء تحسه فيه وكل شيء تلمسه فإنه دليل على وجود الله ﷻ.

تأمل سطور الكائنـــات فإنهـــا   من الملء الأعلى إليك رسائـــل

وقد خط فيها لو تأملت خطها   ألا كل شيء ما خلى الله بـــاطل

وما يذكره العلماء من هذه الأدلة ما هو إلا غيض من فيض، بل قطرة من بحر، والأمر لا شك أنه أعظم من ذلك وأعظم والله المستعان.

أما معرفة ألوهية الله تبارك وتعالى وهو الأمر الثاني لأننا قلنا إن معرفة الله ﷻ يراد بها معرفة ثلاثة أمور، معرفة ربوبيته ومعرفة ألوهيته ومعرفة أسماءه وصفاته. إذا علم الإنسان هذه الأمور الثلاثة فإنه يكون قد عرف ربه، أما ألوهية الله ﷻ فإن المراد أن يعرف الإنسان بل أن يستيقن أن الله تبارك وتعالى هو المعبود وحده لا شريك له ويقوم بمقتضى هذا الاعتقاد بأن يعبد الله ويتقرب إليه بأنواع الطاعات.

والأدلة على إنفراد الله ﷻ بالألوهية أدلة كثيرة أيضا ترجع إلى أدلة شرعية وإلى أدلة عقلية، أما الأدلة الشرعية فحدث ولا حرج فآيات الكتاب وأحاديث السنة طافحة بإثبات ألوهية الله ﷻ ووجوب عبادته وحده لا شريك له بل أول أمر إن فتحت المصحف تجده أمامك هو الأمر بعبادة الله ﷻ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ وأول نهي أيضاً في المصحف يمر بك هو النهي عن الشرك بالله ﷻ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

....

أما الأدلة العقلية فهي أيضاً كثيرة أهمها ثلاثة أدلة:

أولًا توحيد الربوبية: إذا ثبتت ربوبية الله ﷻ فإنه يلزم من هذا إثبات ألوهيته، متى اعتقدت أن الله تبارك وتعالى هو الرب الخالق المدبر الرازق وحده إذن يلزمك أن تعبده جلا وعلا وإلا فما الذي يقوله العقل؟ الله يخلق وأنت تعبد غيره، والله يرزق وأنت تشكر سواه، هذا لا يتأتى عند العقل الصحيح إذا كان الله ﷻ هو الذي خلقك إذن العبادة يجب أن تتوجه له تبارك وتعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ كأن قائل قال ولما يا ربنا، لما إلهنا واحد، لما لا يكون إلهنا اثنان أو ثلاثة، لما لا يكون معك شريك في العبادة، فجاء الجواب ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ هذه الحجة، لأنه رب السموات والأرض ورب المشارق إذن يجب أن يعبد وحده لا شريك له.

قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ تأمل هذه الآية العجيبة فيها مقدمة ونتيجة ثم مقدمة ونتيجة، مقدمتان ونتيجتان، ذلكم الله ربكم مقدمة، ماذا ينتج عنها؟ لا إله إلا هو رب إذن يجب أن يكون معبوداً إلا إله إلا هو، لا يستحق العبادة سواه ثم مقدمة أخرى، ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نتيجتها فاعبدوه، لما كان هو خالق كل شيء إذن يجب أن تعبدوه، والأدلة في كتاب الله ﷻ على هذا المعنى كثيرة ومن تأمل وجد من ذلك الشيء الكثير الطيب.

أيضًا، وهو الدليل الثاني اتصاف الله ﷻ بصفات الكمال: فهذه حجة ملزمة بأن يكون الله ﷻ وحده المعبود، **الذي يعبد إنما يعبد لأمرين:**

أولًا: لأنه يحب معبوده، ومحبته لمعبوده راجعة إلى اتصافه بالكمال؛ لأن النفوس مجبولة على حب الكمال لذا من ءآمن بأن الله تبارك وتعالى له الكمال المطلق فإنه يتعين في حقه أن يحبه الحب الكامل وبالتالي فيتوجه له بالعبادة.

....

الأمر الثاني: أن يعبد العابد معبوده؛ لأنه محتاج إليه ويعتقد أن هذا المعبود قادر على أن ينفعه، وعلى أن يلبي له حاجاته، وعلى أن ينقذه عند المآزق، ولذا إبراهيم عليه السلام لما حاج أباه وقومه أعاد أذهانهم إلى هذه القضية المهمة ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾ لاحظ سمع و بصر يعني كمال ﴿وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ هذا الأمر الثاني، ما الفائدة من عبادته، إذا كان لا يغني عنك شيء إذن لما تعبده، اعبد من يتصف بالكمال هو السميع البصير العزيز الحكيم العليم الحليم سبحانه، واعبد من بيده ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه وهو إن دعوته وأنت محتاج فإنه يترل عليك رحمته وينقذك مما أنت فيه.

إذن هذه الدلالة الثانية، تأمل في آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا توحيد الألوهية لما؛ ما الدليل؟ لأنه ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ ألخ.

تأمل في نصوص كثير في كاتب الله عز وجل تجد أن الله تبارك وتعالى يرتب عبوديته بل انفراده بالعبودية على كون أسماء الله عز وجل وصفاته أسماء حسنى وصفات كاملة.

الدليل الثالث: اتصاف ما سواه من المعبودات بالنقص: وإذا كانت ناقصة معيبة فهي لا تستحق أن تعبد، وبالتالي يجب أن يكون هو المعبود وحده لا شريك له تأمل معي قال جلا وعلا: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ إذن لا تصلح عبادتهما ليسا أهلا للعبادة فقط بهذه الجملة كانا يأكلان الطعام، ما معنى كانا يأكلان الطعام، إذن هما محتاجان المحتاج لا يكون رباً، المحتاج لا يكون إلهاً، تأمل قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ فعل أمر استمع يا عبد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾

إذن هذه الحشرة الصغيرة التي هي من أصغر مخلوقات الله عز وجل لو أجتمع كل ما عبد من دون الله سبحانه على أن يخلقوا هذه الحشرة فإنهم لن يستطيعوا بل لو امتصت هذه الذبابة شيئاً من

....

طعامهم أو شرابهم فإنهم لا يستطيعون إرجاع هذا الشيء ضعف الطالب والمطلوب.

إذن كل ما سوى الله ﷻ فإنه لا يستحق العبادة بدليل عقلي واضح إذن الله وحده هو الذي يستحق العبادة.

أما معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأنه المنفرد بغايات الكمال ﷻ، فإن الكلام فيه يطول ومحله في درس شرح أسماء الله ﷻ إذن هذه هي معرفة الله ﷻ على وجه الإيجاز والاختصار أن يعرف العبد انفراد الله ﷻ بالربوبية والألوهية وأسمائه وصفاته تبارك وتعالى.

كلام الشيخ هنا تركز على الأمر الأول وهو ربوبية الله ﷻ؛ لأن ربوبية الله ﷻ هي الدرجة الأولى هي الباب الذي من دخله فإنه سيرتقي إلى ما فوقه، فنبه الشيخ رحمه الله إلى هذه المسألة وهي كيف عرفت ربك، كيف عرفت ربوبية الله ﷻ فكان الجواب بآياته ومخلوقاته، وذكر من الآيات قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع، الآيات والمخلوقات تجد أن الشيخ رحمه الله ذكر هذا وذكر هذا، ذكر الآيات وذكر المخلوقات فهل بينهما فرق، الذي يظهر والله أعلم أن الأصل هو أن المخلوقات بعض آيات الله ﷻ وبالتالي فيكون عطف المخلوقات على الآيات من باب عطف الخاص على العام فإن آيات الله تبارك وتعالى تنقسم إلى آيات متلوه وإلى آيات مخلوقة.

الآيات المتلوة هي ما أنزل الله ﷻ على أنبيائه ورسله من الكتب السماوية وأما الآيات المخلوقة فهي كما ذكر الشيخ رحمه الله الليل والنهار والشمس والقمر وغير ذلك، ولا يفهم من قوله إن هذه آيات وهذه مخلوقات أن الآيات المذكورة ليست بمخلوقات كلا، بل الليل والنهار والشمس والقمر كلها مخلوقات لله ﷻ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ نص الله ﷻ على أن الليل والنهار والشمس والقمر مخلوقات لكنه أستعمل هذا الأسلوب رحمه اللهمن باب التنويع فقط في الأسلوب، بعض أهل العلم تلمس أن الشيخ رحمه الله نص على أن هذه آيات وتلك مخلوقات لأن الآيات أوضح في الدلالة من المخلوقات ولكن يبدو والله أعلم أن ما يقال من وضوح الدِلالة فيما ذكر من الآيات يقال مثله بل ربما أكثر فيما ذكره في المخلوقات لكن يبدو والله أعلم أنه أراد التنويع في الأسلوب والله ﷻ أعلم.

....

المقصود أن ما ذكر الشيخ رحمه الله في الآيات والمخلوقات يرجع إلى ما يأتي، الليل والنهار والشمس والقمر والسموات والإراضين إذن ذكر رحمه الله ستة أشياء وهذه معروفة عند أهل العلم بدليل الآفاق فأوضح أدلة على ربوبية الله عز وجل من جهة الأدلة المعقولة والمحسوسة دليل الأفاق ودليل الأنفس، دليل الأنفس ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ دليل الآفاق: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾وهذه الآية فيها التنبيه على الأمرين سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فدل هذا على أن هذه أعظم ما يكون من الآيات وما ذكر الشيخ رحمه الله الأنفس اللهم إلا فيما ذكر عرضاً من أن ما فيهن يعني في السموات والأرض ويدخل في ذلك الملائكة والأنس والجن كما سيأتي.

الليل والنهار آيتان تدلان على ربوبية الله تبارك وتعالى وأن الذي خلق الليل والنهار رب حكيم ورب قدير ورب عليم سبحانه وتعالى، وذلك أن الليل والنهار فيهما من الحكم والمصالح وظهور دلائل العناية بالعباد ما يعلمه كل من تأمل فالله عز وجل جعل الليل لباسا، وجعل النهار معاشا، لو أمتد ليل مستمر لهلك الناس وهلكت كثير من الكائنات، ظ لأنها بحاجة إلى الشمس لأجل الضياء، بحاجة إلى الشمس لأجل الحرارة، بحاجة إلى الشمس لأجل إنبات النبات، الأسماك في البحار بحاجة إلى للشمس، النباتات بحاجة إلى الشمس، الدواب بحاجة إلى الشمس.

إذن لو جعل الله عز وجل الحياة ليلاً مستمراً فإن الناس لن يستقيم لهم معاش والعكس صحيح، لو كان الوقت كله نهاراً لا ليل فيه فإن معاش الناس أيضاً سيتنغص وربما هلكوا ومن رحمته تبارك وتعالى أن جعل على العباد هذان الأمران يتعاقبان فيهما كما سيأتي معنا، هذا يكور على هذا وهذا يكور على هذا، هذا يولج على هذا وهذا يولج على هذا، وهكذا يستمر الأمر ما دامت السموات والأرض وهذا فيه من الحكم والمصالح الشيء الكثير، لولا وجود الشمس لولا وجود الليل والنهار وهما أثران لوجود الشمس والقمر لما أمكن للناس أن يعرفوا تواريخهم وأزمنتهم ويحددوا المواعيد وتترتب كثير من أمور حياتهم ومعاشهم، إذن وجود الليل والنهار آيتان عظيمتان على وجود الله سبحانه وتعالى.

قال الأمر الثالث والرابع الشمس والقمر، الشمس والقمر آيتان من آيات الله ﷻ خلقهم الله سبحانه وفيهما من دلائل الاختراع ودلائل الإتقان ودلائل العناية ودلائل التخصيص والتدبير ما يعجز الإنسان أمامه ولا يزال الناس كل يوم يكتشفون أشياء يعجب منها الإنسان في إتقان الله تبارك وتعالى وحسن تدبيره للشمس والقمر.

الشمس هذه الكرة الملتهبة التي أوجدها الله ﷻ في هذا العلو وفي السماء وما يترتب عليها من مصالح عظيمة في معاش الناس وجعلها الله ﷻ في محل معلوم وجعل لها مساراً معلوماً لا تحيد عنه ولا يختلف بل هو مسار محدد بدقة دليل على تدبير الله ﷻ في خلقه، هذه الشمس التي لو قربت من الأرض شيئاً يسيرا لانتهت الحياة في الأرض ولو أنها ابتعدت شيئاً يسيراً لانتهت الحياة أيضاً من الأرض، هذه الشمس العظيمة الكبيرة التي يدبرها الله تبارك وتعالى وهي مع عظمتها تخضع لله سبحانه حتى إنها في كل يوم تسجد تحت العرش إذا ذهبت إلى المغيب فإنها تذهب فتسجد تحت العرش لله العظيم ﷻ.

وكذلك القمر آية من آيات الله سبحان جعل الله ﷻ هذا القمر منيراً ينتفع العباد بوجوده فيعرفون الأزمنة ويعرفون الأهلة وتكون لهم مواقيت ويحسن انتفاع بتقدير الله ﷻ في البحار وفي النبات بوجود هذا القمر هذا كله ما جاء عبثاً ولا وجد من العدم بل هذا آية من آيات الله تبارك وتعالى الدالة على خلقه وربوبيته ﷻ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع).

والسموات سبع بنص كتاب الله ﷻ في آيات كثيرة، والأراضون سبع كما هو ظاهر كتاب الله ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ والمثلية هنا والله تعالى أعلم تعود على ما ذكر جمهور أهل العلم تعود إلى العدد لأنها لا يمكن أن تكون مثل السموات في الصفة والمقدار فبينهما بون شاسع فالسموات أكبر من الأرض بكثير، فدل هذا على أن المثلية تعود إلى العدد وهذا ما جاء صريحاً في سنة النبيﷺ ففي الصحيحين أن النبيﷺ قال: «**من اقتطع شبراً من أرض ظلماً طوّقه من سبع أراضين يوم القيامة**» فدل هذا على أن الأراضين سبع كما أخبر النبيﷺ وهذا إجماع بين أهل السنة والجماعة، نقل الإجماع أبو بكر الأنباري كما نقل عنه ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عليهما.

المقصود أن من آيات الله ﷻ الدالة على ربوبيته سبحانه السموات السبع وما فيها من الآيات العظيمة، كذلك الأراضون السبع وما فيها من الآيات العظيمة فالله ﷻ خلق هذه السموات بقوة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ يعني بقوة جعلها الله سبحانه محكمة، وجعلها سقفاً مرفوعا وجعل لها أبواباً وأمسكها ﷻ أن تقع على الأرض وعن تزول وزينها ﷻ بالمصابيح والنجوم والكواكب فكل ذلك من آيات الله العجيبة الدالة على أنه الخالق ﷻ.

وكذلك الأرض وما فيها من عجائب خلق الله ﷻ والحديث فيها لا ينبغي أن يطال فيه؛ لأن هذا شيء يراه الإنسان ويلمسه في كل لحظة فالله جلا وعلا جعل الأرض مهاداً والله ﷻ جعلها مذلّله، والله ﷻ جعل فيها السبل التي يستطيع فيها الناس أن يضربوا ويسافروا وينتقلوا من مكان إلى مكان كما أن الله جلا وعلا جعلها قرارا ولو شاء سبحانه لجعلها تميد وتضطرب وتتحرك فما استقام للناس حياة.

والله جلا وعلا شقها وأنبت منها أنواع النعم فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا﴾ إلى أخر ما أخبر ﷻ والعجيب أن هذا النبات نبات يسقى بماء واحد لكنه مختلف اختلافا كبيراً مختلف في لونه، مختلف في طعمه، مشتبه وغير مشتبه وكل هذا لا يمكن أن يكون إلا من خالق عظيم وحكيم ومدبر ومريد ﷻ.

إذن هذه الأرض أيضاً من دلائل وجود وربوبية الخالق تبارك وتعالى فلو أحسن الإنسان التأمل في هذه الآيات فإنه لا يجد مناصًا من أن يذعن بربوبية الله ﷻ تأمل في قول الله سبحانه: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ ﴾ يعني الجبال ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾ دواب عجيبة في الجو وفي الأرض وفي البحر شأن عجيب يعجز الإنسان عن أن يحيط علماً بكل ذلك، ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ هذا خلق الله يا معشر الملاحدة يا معشر المعطلة يا معشر الجاحدين بربنا تبارك وتعالى هذا خلق الله ليس خلقاً من العدم فإن العدم لا شيء، العدم لا يخلق لا غير الموجود لا يمكن أن يوجد موجوداً، فاقد الشيء لا يعطيه، ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾أروني ماذا خلق الذين من دونه يا معشر المشركون من الذي خلق مثل خلق الله ﷻ أهم الأصنام؟! ماذا خلقت اللات؟! وماذا خلقت العزى؟! ماذا خلقت الأشجار؟! وماذا خلقت الأحجار؟ ماذا خلقت الشمس؟! وماذا خلق القمر؟! ماذا خلق الأولياء؟! وماذا خلق الأنبياء؟!

﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾إذن هذه دلائل وعبر لا ينبغي أن تمر على الإنسان دون أن يتأملها فإنها مما يزيد الإيمان واليقين ومع الأسف كثير من الناس محروم من هذه النعمة العظيمة وهي نعمة التأمل والتدبر والتفكر في هذا الكون، كثير من الناس مشغولون ومنصرفون ويلهثون في هذه الحياة لا يقفون ولو وقفة يسيرة مع ما يشاهدون ومع ما يطالعون من عجائب السموات والأرض.

الله جلا وعلا جعل هذه الكائنات وجعل هذه المخلوقات وجعل هذا الملكوت العظيم لأجل أن نتدبر وأن نتأمل، وليبلونا أينا أحسن عملاً، كيف نحسن التأمل وكيف نحسن استثمار هذه النعم التي أوجدها الله ﷻ فهي امتحان وابتلاء واختبار للناس، من الذي يقوم فيها بما أمر الله ﷻ

....

وأحب لكن مع الأسف الشديد كما ذكرت قبل قليل كثير من الناس مصروف عن هذا الأمر، أعطي لنفسك فرصة ووقتا وتأمل في السماء وقد كان النبيﷺ يكثر من رفع بصره إلى السماء. كثير من الناس لا يحسن مثل هذا الأمر العظيم لا سيما مع هذه المدنية الصاخبة وانتشار الأضواء والكهرباء فإن كثير من الناس لا يجد الفرصة أو لا يقع في ذهنه أن يرفع رأسه إلى السماء فيتأمل لكن إن حصل للإنسان وقت وفرصة فلا ينبغي عليه أن يضيع هذا الأمر العظيم الذي يعود عليه بالخير الكثير.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والدليل قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْل وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

مهما أعجبتم بالشمس والقمر وبحسن هاذين المخلوقين وعظم في نفوسكم ما هما عليه فاعلموا أنهما من مخلوقات الله ﷻ مردودان لله تبارك وتعالى لا يستحقان شيئاً من العبادة، وهذا يبين ضلال عباد الشمس والقمر الذين يعبدونهما ويسجدون لهما والله ﷻ ينهى عن ذلك، وإذا كانت هذه المخلوقات العظيمة التي هي أكبر من الأرض ومن كل ما على الأرض، فغيرها أيضا لا يستحق أن يعبد لا تسجد للشمس ولا للقمر، وإنما عليكم أن تسجدوا لله ﷻ الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون.

قال رَحِمَهُ اللهُ: وقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذِي خَلقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ يُغْشِي الليْل النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالِمِينَ﴾ والرب هو المعبود).

هذه الآية العظيمة تحتاج إلى وقفة طويلة معها ونؤجل ذلك إلى درس غداً بعون الله ﷻ والله سبحانه أعلم.

توقفنا في درس أمس عند آية الأعراف، يقول الله "جل و علا" ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ومضى معنا الكلام عن خلق الله ﷻ للسماوات والأرض، وعرفنا الآيات الست التي أوردها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للدلالة على ربوبية الله ﷻ وهي السموات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ في ستة أيام﴾.

خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، أول تلك الأيام يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، والله ﷻ قادر على أن يخلق السموات والأرض في لمح البصر، بل ما هو أسرع من ذلك ولكن لحكمة يعلمها سبحانه خلق السموات والأرض في هذه المدة في ستة أيام، الأرض وجعل الرواسي وتقدير أقواتها كان في أربعة أيام والسموات خلقها سبحانه في يومين.

واختلف العلماء في هذه الأيام هل هي مقدرة بمدة أيام الدنيا المعروفة فهذا هو الظاهر والمتبادر من الآيات كما يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، أو هي مدة أطول من ذلك بكثير، يعني أن اليوم مقداره ألف سنة ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ فهذا القول ذهبت إليه طائفة من أهل العلم فهو مروي عن مجاهد وعن الضحاك عن بن عباس "رضي الله عنهما" وعن غيرهم من أهل العلم والله ﷻ أعلم بالصواب ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أخبر الله "جل وعلا" أنه بعد خلق السموات والأرض استوى على العرش والعرش في اللغة هو سرير المُلك يعني السرير الذي يجلس عليه الملك، كما قال "جل وعلا" ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ وكما قال سبحانه ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ هذا هو المعروف في اللغة من كلمة العرش، **وأما عرش الرحمن تبارك وتعالى فهو مخلوق عظيم اختصه الله "تبارك وتعالى" بأمور:**

أولًا: اختصه الله سبحانه باستوائه عليه، وقد أخبرنا "جل وعلا" في سبعة مواضع في القرآن أنه استوى على العرش:

أعراف ويونس ورعد ثم في طـــه

فرقان سجدة والحديد بها استوى

فهذه سبعة مواضع أخبر الله "ﷻ" أنه استوى على العرش و اختص الله "ﷻ" العرش.

ثانيًا: بأنه أعلى المخلوقات، فأعلى المخلوقات هو العرش.

وثالثًا: هو أكبر المخلوقات.

ورابعًا: هو أثقل المخلوقات.

إذن هذه أربع مميزات للعرش اختصه الله ﷻ لاستوائه عليه وهو أعلى المخلوقات وأكبرها وأثقلها ويدل على الأخير قوله ﷺ فيما أخرجه الإمام مسلم في ذكر التسبيح العظيم «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**» فالمقام مقام ذكر أعظم الأشياء، فلما ذُكر الثقل ذُكر العرش، فظاهر هذا أنه أثقل المخلوقات والله تبارك وتعالى أعلم.

أما استواء الله ﷻ على العرش فإنه بمعنى علوه وارتفاعه عليه جل وعلا، استوى الله على العرش يعني علا وارتفع عليه علوا وارتفاعًا يليق به ﷻ لا يشبه ولا يماثل استواء المخلوقين، فهذه صفة نؤمن بها أخبرنا الله ﷻ بأنه استوى على العرش كما علمتم في سبعة مواضع من كتاب الله وليس لنا معشر المسلمين إلا أن نؤمن ونسلم لما جاء في كتاب الله ﷻ، قد يقول قائل كيف نقول أن الله استوى على العرش مع أنه القائل ليس كمثله شيء ونحن لا نعقل من يستوي على الأشياء إلا وهو مخلوق فإذا قلنا إن استوى على العرش بمعنى علا وارتفع فيكون الله ﷻ مشابها للمخلوق!

والجواب أن على المسلم:

أولًا: أن يُذعن ويصدق بما جاء في كتاب الله ﷻ ويعتقد بأن كتاب الله ﷻ لا يمكن أن يتناقض فالله ﷻ ليس كمثله شيء والله قد استوى على العرش ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا.

ثانيا: الله أعلم بما أضاف إلى نفسه﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ فالله أخبر أنه قد استوى على العرش وهو أعلم بما يليق به سبحانه من نعوت الجلال وصفات الجمال تبارك وتعالى.

ثالثا: أن استواء الله ﷻ على العرش لا يلزم منه أن يكون مشابهاً للمخلوق فإن لله ﷻ استواء يليق به وللمخلوق استواء يليق به واشتراك المخلوق والخالق في أصل الصفة لا محظور فيه، فالاستواء من حيث هو قبل أن يضاف لله ﷻ أو إلى المخلوق هو بمعنى العلو والارتفاع فلما أُضيف الاستواء إلى الله اختص بالله ﷻ فكما أن ذات الله ليست كذات المخلوق فكذلك صفة الله ﷻ ليست كصفة المخلوق.

وتنبه يارعاك الله إلى أن المخلوقين مع اشتراكهم في كونهم مخلوقين ومفتقرين ومحدثين وكلهم من جملة الممكنات لا من جملة الواجب فالله ﷻ هو الواجب واجب الوجود تبارك وتعالى وكل

....

ما سواه فإنه من الممكنات، ممكنات الوجود تأمل أن المخلوقات قد تفاوتت في كيفية وحقيقة استوائها مع كونها جميعاً مخلوقات تأمل معي في ثلاث آيات في كتاب الله قال جل وعلا ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ تأمل أن الإنسان يستوي على ظهر الدابة بكيفية معينة قال جل وعلا ثانيًا ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ يعني على السفينة تخيل استواء الناس أو استواء الإنسان على ظهر السفينة له كيفية مختلفة عن كيفية استوائه على ظهر الدابة تأمل ثالثا في قوله سبحانه عن سفينة نوح ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ الجودي: جبل تخيل كيف تستوي سفينة على جبل السؤال الآن هل استواء السفينة على جبل كاستواء الإنسان على ظهر الدابة الجواب لا هذا له هيئة وهذا له هيئة، هذا له كيفية وهذا له كيفية، فإذا كان المخلوق مع المخلوق ما تساويا في كيفية الصفة، فكيف بين الخالق والمخلوق! بل الإنسان نفسه له حالتين في الاستواء يستوي على السفينة بمعنى يرتفع ويستقر عليها بهيئة، ويستوي على الدابة بمعنى يرتفع ويستقر عليها بهيئة أخرى، مع أنه إنسان واحد ومع أن الموصوف واحد ومع ذلك لما أختلف ما استوى عليه اختلفت الكيفية والكُنه والحقيقة.

إذن إياك أن تظن أن ما أخبر الله ﷻ به من الصفات يوهم التشبيه، وبالتالي نحن بحاجة إلى البحث عن تأويلات لهذه الصفات كما يقول بعض الناس هذا مسلك خاطئ.

فالواجب هو أن نُمِر هذه النصوص على ظاهرها بعد أن نفهمها في ضوء لغة العرب التي نزل القرآن بها مع اعتقادنا أن الله تبارك وتعالى له صفة لا تماثل صفات المخلوقين وأن للمخلوق صفة لا تماثل صفة الخالق تبارك وتعالى هذا هو المسلك الحق.

وهذا هو المنهج الصواب الذي يجب أن تسلكه يا أيها المسلم إذا مر بك آية أو حديث اشتملتا على صفات لله تبارك وتعالى ألم ترى إلى أن الله ﷻ أخبر عن نفسه أنه سميع بصير فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وأخبر عن المخلوق بأنه سميع بصير قال ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير ولا السمع كالسمع ولا البصر كالبصر وإن اشترك في الإطلاق، إذاً أخبر الله عن نفسه بصفة واتصف المخلوق بهذه الصفة من حيث الأصل فإن هذا ليس هو التمثيل الممنوع، لكن إذا قال الإنسان الله يستوي استواءً مثل استواء المخلوق نقول هذا تشبيه، وتشبيه الله بخلقه كفر، قال الإمام نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله الذي هو شيخ الإمام

البخاري قال: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيه قال جل وعلا ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ يُغشي الليل النهار يعني يُدخل الليل في النهار والعكس صحيح فإن الله ﷻ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، هنا قال يُغشي الليل يعني كأنه يجعل الليل غشاء للنهار، غشاء بمعنى غطاء يغطي الليل نور النهار حتى يمحوه، يطلبه حثيثا مسرعا هذا يدخل على هذا، وهذا يدخل على هذا، و يستمر الأمر هكذا دواليك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، الليل يدخل على النهار، والنهار يدخل على الليل وكل ذلك حثيثا يعني بسرعة ليس هناك فاصل ليس هناك شيء ثالث يحول بين هذا وهذا، بل الليل يدخل على النهار والنهار يدخل على الليل وكل هذا آية من آيات الله ﷻ.

قال ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ مسخرات منصوبة على الحالية، حال كونها مسخرات يعني مدبَراتٍ يدبرها الله ﷻ ويصرفها كيفما يشاء وفق حكمته تبارك وتعالى، ومن تأمل في خلق السموات والأرض والشمس والقمر، وفي مسار الشمس والقمر وفي مسار الأرض وما بيّن ﷻ في كتابه ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ دقة متناهية تدل على أن الفاعل الخالق حكيم عليم قدير عظيم ﷻ.

قال سبحانه ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

الخلق لله ﷻ صفة، يعني الإيجاد من العدم، هذه صفة يختص الله ﷻ بها ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ ﴾ يعني المخلوقون ملكًا وعبودية تبارك وتعالى، قال ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ الأمر في هذا الملكوت لله تبارك تعالى. هو الآمر الناهي ﷻ في هذا الكون، هو الذي ينفذ أمره وينفذ نهيه تبارك وتعالى، والأمر في حق الله ﷻ وإذا أضيف إلى الله ﷻ، فإنه يراد به الأمر الكوني، والأمر الشرعي، إذن الأمر المضاف إلى الله ﷻ يكون أمرًا كونيًا، به يُصرِّف الله ﷻ ملكوته، ومخلوقاته، وأمر شرعي يعني الأوامر التي أنزلها الله تبارك وتعالى في كتبه التي أنزلها على رسله، فكلها لله ﷻ.

قال تعالى﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ تبارك فعل مختص بالله تبارك وتعالى، لا يجوز إضافته إلى غيره. انتبه تبارك بمعنى: بلغ الغاية في الخير والعظمة.

....

الله ﷻ بلغ الغاية في الخير والعظمة ﷻ، فالله ﷻ هو المتبارِك، والله ﷻ هو المبارِك. يعني: الذي يعطي البركة، والعبد هو المبارَك الذي يجعل الله فيه البركة.

إذن عندنا ثلاث كلمات الله ﷻ هو: المتبارِك، والله ﷻ هو المبارِك، اسم الفاعل. هو الذي يعطي البركة، لا أحد يملك أن يجعل في شيء بركة.

في صحيح البخاري من حديث ابن مسعود ﷺقال: كانوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام في سفر فقل الماء فشكوا إلى النبي ﷺ، فقال اطلبوا لي فضلة من ماء، فأتوا بإناء فيه شيء يسير من الماء، فوضع النبي ﷺ يده الشريفة في الماء، ثم يقول ابن مسعود فرأيتُ الماءَ ينبع مِنْ بين أصابع النبي ﷺ، ثم قال النبي ﷺ **«هلموا إلى الطهور المبارك والبركة من الله»** آي من الله، تعالوا، ثم قال الرسول ﷺ **«هلموا، إلى هذا الطهور المبارك والبركة من الله»**، تعالوا، هلموا، خذوا، هذا الطهور المبارك لكن انتبهوا لست أنا الذي أعطيت البركة، البركة ممن؟ من الله ﷻ انظر كيف يعلم النبي ﷺ أصحابه أن تتعلق قلوبهم بالله.

البركة من الله، إذن الذي يعطي البركة هو الله ﷻ. الله هو المبارِك؛ أما العبد فهو المبارَك هو الذي يجعله الله مباركًا ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ هو الذي يجعل العبد مبارَكًا، وليس غيره.

إذن البركة مثلها مثل العافية، والصحة، والرزق، والنصر، إنما تعطى من الله ﷻ، وبالتالي فإنها لا تطلب إلا من الله ﷻ، وهنا تنبيه وهو أن بعض الناس يستعمل هذا الفعل: وهو تبارك في حق المخلوق، يقول يا فلان، "تباركت علينا" إذا رآه زاره مثلًا، أو جاءه في محله، يقول: "تباركت علينا يا فلان" هذا غلط، لا يجوز، هذا الفعل لا يضاف إلا لله ﷻ، ولا يجوز أن تضيفه إلى مخلوق.

أيضًا بعض الناس مثلًا إذا أراد أن يهنئ بالعيد، أو برمضان يقول مثلًا: "مبارك عليك العيد"، يقول: "علينا يتبارك" يعني العيد يتبارك، وهذا غلط؛ لأن هذا الفعل لا يجوز أن يضاف إلا إلى الله ﷻ. نعم.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة").

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والرب)**؛ لأن كلمة الرب مرت علينا كثيرًا في كلام الشيخ، وفي الأدلة التي أوردها، **(الرب: هو المعبود)** وصَدَق. هو لا يريد أن يعرف كلمة رب، كلمة رب عرفنا تعريفها سابقًا.

رب يعني: خالق، مدبر، مصرف، سيد، مالك، لكن هو الآن يريد أن يبين الحكم الذي يترتب على كونه ربًا. إذًا يجب أن يكون معبودًا.

القاعدة عند أهل العلم، وانتبه لها يا طالب العلم: "الربوبية تستلزم الألوهية، والألوهية تتضمن الربوبية" بمعنى: من اعتقد أن الله تبارك وتعالى هو الرب، إذًا يلزمه لزومًا أن يعتقد أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو المستحق للعبادة، فيقوم له بهذه العبادة.

كيف تعتقد أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الخالق، ثم تتوجه إلى غيره؟ الله يخلقك، وتعبد غيره؟

الله يرزقك، وتتوجه بالشكر لسواه؟ هذا لا يتأتى عقلًا، هذا غلط، غلط واضح في جميع العقول.

إذن لما كان الله عَزَّ وَجَلَّ هو الرب، إذن كان هو المستحق للعبادة، والألوهية تتضمن الربوبية؛ بمعنى من اعتقد أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو المستحق للعبادة وعبده، فإنه قطعًا يكون اعتقد أن الله هو الرب، يكون قد أتى بالربوبية ضمنًا، من اعتقد بعبودية الله سبحانه فإنه قطعًا قد اعتقد قبل ذلك بربوبية الله عَزَّ وَجَلَّ المقصود أن الاعتقاد بربوبية الله عَزَّ وَجَلَّ هو الباب الذي يوصل إلى اعتقاد ألوهيته ولذا جعل الله عَزَّ وَجَلَّ اعتقاد المشركين بربوبية الله دليلًا عليهم وحجة ملزمة لهم بأنهم يجب أن يعبدوا الله.

أنتم تعتقدون أن الله هو الخالق إذًا يلزمكم أن تعبدوه وحده ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُم لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ ما جوابهم (الله)، إذن كانوا يعتقدون بأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي خلقهم وحده، ودبر شأنهم وحده، ويرزقهم وحده، إذًا يلزمهم أن يتوجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بالعبادة.

....

ومر معنا في درس أمس شيئًا من الأدلة على هذا، قال جل وعلا ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ما الدليل؟ ما بعده، لماذا يا رب إلهنا واحد هو أنت؟ لماذا لا يكون معك شريك؟ لماذا لا نعبدك ونعبد غيرك؟ الجواب لأنه ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ما النتيجة ﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إذن (فاعبدوه)، لأن الربوبية دليل على الألوهية، أورد الشيخ رحمه الله دليل واضح على هذه المسألة وهو ما جاء في سورة البقرة وهو أول أمر في المصحف ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾

الدليل على عبادة الله عز وجل أنه ربكم، ثم زاد الدليل إيضاحًا ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذه الحجة واضحة لأنه هو الذي خلقكم إذًا العبادة يجب أن تكون له سبحانه وتعالى، ولذا ذكر ابن كثير رحمه الله هذه الكلمة المهمة الذي خلق هذه الأشياء هو المستحق للعبادة، إذًا لا يستحق العبادة سواه تبارك وتعالى.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان).

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، الله خلقك لعبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

هذا ضابط مهم لمعرفة ما هي العبادة؛ لأن بعض الناس يستشكل الأمر، يقول ما معنى العبادة التي أمرنا الله بها؟ إذا علمت في شيء ما أمرين فاعلم أن هذا الشيء عبادة ما هو؟

أولًا قلنا اسم جامع لكل:ما يحبه الله، ويرضاه، -يرضاه- يعني يلزم هذا أنه يشرعه لنا.

إذن متى ما كان الفعل محبوبًا لله ورضيه لعباده وشرعه لعباده فهو إذن عبادة.

أي شيء يمر بك اجتمع فيه الأمران فاعلم أنه عبادة، الصلاة عبادة؟ نعم لما؟

لأن الله يحبها.

لأن الله عَزَّ وَجَلَّ شرعها لنا.

الصوم عبادة؟ نعم؛ لأن الله يحبها. لأن الله عَزَّ وَجَلَّ شرعها لنا.

إذن متى اجتمع هذان الأمران كان الشيء عبادة.

طيب ما الذي يترتب على كونه عبادة؟ يجب أن يتوجه العبد بهذا الشيء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

القضية الثانية: متى ما توجه بهذا الشيء لغيره فقد أشرك، الشرك ليس هو إلا هذا الأمر؛ أن تتوجه بالعبادة لغير الله، تأمل معي قوله سبحانه ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

إذن عندنا حالتان:

إما أن تعبد الله، أو تكون واقعًا في الشرك ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

إذن عندنا قاعدة مطردة: متى ما ثبت أن الشيء عبادة، مباشرة افهم أن صرف هذه العبادة لغير الله شرك، إذن لو قيل لنا ما الدليل على أن السجود لغير الله شرك، أعطوني آية في القرآن أن السجود شرك نقول لا نحتاج إلى أكثر من فهم هذه القاعدة وهي ثبت أن السجود عبادة؟ نعم لأن الله يحبها ولأن هذا العمل شرعه لنا، متى ماكان عبادة؟ إذن متى ما توجه العبد به لغير الله كان شركاً، إذن كل ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك، احفظ هذه القاعدة، كل ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ الْمَسَاجِدَ للهِ﴾.

الآن سيأتي كلام للشيخ يؤكد هذا المعنى، بدأ الشيخ يفسر لنا أنواع من العبادات، بدأ بأهم شيء وهو مراتب الدين وهي: الإسلام، الإيمان، الإحسان، وهذه سيأتي لها كلام عن قريب، نؤجل الكلام عنها إلى ما سيأتي بعون الله ﷻ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ الْمَسَاجِدَ للهِ﴾ الآن عدد الشيخ لنا مجموعة من العبادات يقول الشيخ لك هذه أنواع من العبادات ثم بدأ يذكر الدليل على كل واحد من هذه الأنواع، كما علمنا الشيخ أننا لا نقبل الشيء إلا بدليله، نريد الدليل على أن هذه الأمور عبادة، بدأ الشيخ بأول قضية أوردها وهي قضية الدعاء، الدعاء عبادة ما الدليل؟ قال: قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾

لا تدعوا أسلوب نهي ولا لا؟ إذن الدعاء غير الله ماذا شرك، طيب أورد دليلا آخر، نعم.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (والدليل قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، وفي الحديث الدعاء مخ العبادة والدليل قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾).

عندنا أربعة أدلة تتعلق بموضوع الدعاء ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ فهي صريح عن دعاء غير الله إذن من قال: يا سيدي فلان أغثني يدعو ميتاً، نقول الله نهى عن هذا فقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾

ثانيا: قال جل وعلا وهذا دليل أرفع في الدلالة وأوضح في الدلالة على أن هذا الفعل شرك قال: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ إذن من دعا غير الله فقد كفر بنص الآية قال جل وعلا ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ إذن أشركتم بالله إذا كنتم دعوتم غيره آية صريحة لا تقبل النزاع، قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ إذا لما دعوتم غير الله فقد عبدتموهم قال وفي الحديث الدعاء مخ العبادة، مخ الشيء خلاصته ولا قيام له إلا به كما أنك أنت لا قيام لك إلا بالمخ إذا مخ الشيء خلاصته وهذا الكلام صحيح، وإن كان الحديث ضعيفاً، الدعاء خلاصة العبادة وأهم ولُب ما في العبادة ولكن الحديث ضعيف، حديث أنس عند الترمذي فيه ابن لهيعة وأشار إلى ضعفه الترمذي لكن يُغني عنه ما أخرج أبو داود رَحِمَهُ اللهُ من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**» طيب هذا النص صريح لا يقبل الاشتباه إذا كان الدعاء عبادةً، فما حُكم دعاء غير الله ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ كان دعاء غير الله شركاً.

طيب متى يكون دعاء غير الله شركاً أحفظ هذه الصور الثلاث فإنها مهمة جداً:

أولًا: دعاء الأموات مطلقاً سواء أكان الإنسان عند القبر أم بعيداً عنه، أي دعاء لأي ميت فهو شرك قال جل وعلا: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ ما عندهم قدرة والنتيجة ﴿ ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ إذن هذا رقم واحد.

ثانياً: دعاء الحي الغائب مطلقاً، سواء دعوته بشيء يقدر عليه لو كان حاضرا أو بشيء لا يقدر عليه، يعني أنا شيخي في مكة لو دعوت الآن وقلت يا سيدي فلان أغثني أنا في حالة طارئة

....

وهو في مكة ما يسمعني أكون قد وقعت في الشرك الأكبر لأنني اعتقدت أن له سمعاً عاماً وعلماً شاملاً وقدرة غيبية يستطيع بها إيصال النفع مع البعد وهذا ليس إلا لله " الله هو الذي وصل سمعه الأصوات"، الله هو الذي وسع كل شيء رحمة وعلما إذا أنت جعلت هذا كأنه شريك مع الله ﷻ وهذا حقيقة الشرك.

الصورة الثالثة: دعاء الحي الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله، تدعوا حيا ليس بميت وحاضر يعني ليس بغائب، ولكنك تسأله ماذا؟ شيئا خارجا عن قدرة البشر، شيئا لا يقدر عليه إلا الله، يأتي إلى ولي يقول يا سيدي فلان أريد الولد، يا سيدي فلان أنزل المطر، اغفر ذنبي نقول هذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى، وبالتالي يكون طلبها من غير الله شركاً، وبالتالي نفهم أي طلبٍ يكون من حيٍ حاضرٍ قادرٍ ليس بشرك، لو قلت لك أعطني كذا، احتاج منك يا فلان إلى كذا، أسالك أن تعطيني كذا وأنت أمامي وقادر، أريد مالا أعطني مالا هل سؤالي لك شرك "أجيبوا يا جماعة" لا لما لأنه سؤال لماذا حي حاضر قادر إذا هذا ليس بشرك، إذا هذه القضية يا أيها الأحبة مسألة في غاية الأهمية فما أكثر ما يقع الخطأ فيها، وإذا لم يكن دعاء غير الله شرك فليس على وجه الأرض شرك، لو تأملت نصوص الكتاب والسنة لوجدت أن الله نهى عن دعاء غيره أكثر بكثير مما نهى عن التوجه بالعبادة أي عبادة سوى الدعاء بغيره لا تجد في الأدلة مثل النهي عن الدعاء لغير الله ﷻ لا الصلاة ولا الصوم ولا السجود ولا الركوع ولا غيرها من العبادة كثرة كالدعاء، لما لأن الدعاء أهم قضية في العبادة قال النبي ﷺ «**الدعاء هو العبادة**» ثم تلا قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وفي مستدرك الحاكم بإسناد حسن عن بن عباس رضي الله عنهما قال "أفضل العبادة الدعاء" يعني قوله ﷺ الدعاء هو العبادة يعني أفضل أنواع العبادة هي الدعاء، فكيف يتوجه بها الإنسان مع الأسف الشديد لغير الله ﷻ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ودليل الخوف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ودليل الرجاء في قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ساق كما قد سمعت في درس الأمس جملة من العبادات التي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها ووجب على كل مسلم أن يخلصها لله تبارك وتعالى، ذكر مراتب الدين الثلاثة، ثم أعقبها بذكر أربع عشرة عبادة مقرونة بأدلتها يذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ العبادة، ويذكر الدليل عليها.

ومضى معنا ما يتعلق بالعبادة الأولى وهي العبادة الأهم ألا وهي الدعاء، أما العبادة الثانية والثالثة فهما الخوف والرجاء وسنجعل كلامنا عليهما معًا للارتباط الوثيق الواقع بينهما.

الخوف والرجاء هما جناحا العبد اللتان يمضي بهما إلى ربه تبارك وتعالى، فالرجاء يطيّب النفس ويحثها على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ظن والخوف سوط يلين القاسي ويحث على البعد عن مساخط الله تبارك وتعالى، وهاتان العبادتان مع المحبة هما أصول العبادات القلبية، فإن المحبة والخوف والرجاء أركان العبادات القلبية، وما سواها فإنها فرع عنها.

الكلام في الخوف والرجاء كلام طويل، والمقام يستحق أن يفصل فيه، الخوف والرجاء عبادتان عظيمتان مقربتان إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بل إنه لن يستقيم سير الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى إلا باجتماعهما في القلب، واعلم يا رعاك الله أنه لن يكون خوفك خوفاً شرعيًا ورجاؤك رجاء شرعيًا إلا إذا اقترن أحد الأمرين بالآخر، الواجب عليك أن تخاف خوفاً مشوباً برجاء، وأن ترجو رجاء مشوباً بخوف، وإلا فإن هذا الخوف لو كان وحده فلن يكون طاعة لله عَزَّ وَجَلَّ، وإنما هو قنوط من رحمة الله أو وسيلة للقنوط من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ والرجاء إن تجرد وحده وأضحى دون خوف يصاحبه فإنه أمن من مكر الله عَزَّ وَجَلَّ، أو وسيلة للوصول إلى الأمن من مكر الله عَزَّ وَجَلَّ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ إذا لابد أن يجمع الإنسان في قلبه بين الأمرين.

تأمل يا رعاك الله في قوله سبحانه: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ لاحظ أن المقام مقام ذكر خوف؛ لأن الخشية كما سيأتي إن شاء الله أخص من مطلق الخوف فهي في الجملة بمعني الخوف ولكن انظر الخشية تعلقت بأي اسم من أسماء الله ﷻ؟ تعلقت باسم الله الرحمن، إذن واجب عليك أن يكون خوفك من الله مشوباً برجاء، في مقابل هذا تأمل في قول الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ ما قال كما قال في الجمل التي قبلها: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ما قال والذي يغفر لي زلتي إنما قال: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ إذن الواجب أن ترجو ولكنه رجاء مشوب بخوف هذا الذي ينبغي عليك يا عبد الله، روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: "إن الله يغفر الكبائر فلا تيأسوا ويعذب على الصغائر فلا تغتروا" هذا الذي ينبغي عليك أن تجمع بين الأمرين، والذي ينظر في النصوص يجد أن عامة النصوص يجتمع فيها الأمران؛ يجتمع فيها وصف المؤمنين بأنهم يجمعون بين الخوف والرجاء ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾

تجد أنه تذكر أسماء الله وصفاته التي تقتضي حصول الخوف والرجاء معًا ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الإليم﴾ تجد أنه يذكر ما يكون في الآخرة ويقتضي حصول الخوف والرجاء معًا ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُه﴾﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه﴾ والنصوص في هذا كثيرة إذن الواجب عليك يا عبد الله أن تجمع بين الأمرين، بين الخوف والرجاء قال مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله: "لو وزن خوف المؤمن ورجائه لكن سواء لم يزد أحدهما عن الآخر".

وها هنا مسألة يبحثها أهل العلم وهي أنهم قد اتفقوا على وجوب الجمع بين الخوف والرجاء، وأن أحدهما دون الآخر لا يكفي بل لا ينفع، لكن ماذا عن تغليب أحد الأمرين على الآخر؟

هل المشروع أن يكون الخوف في قلب المؤمن أكثر من الرجاء أو أن يكون الرجاء أكثر من الخوف؟

المسألة فيها بحث كبير بين أهل العلم:

منهم من قال: أن الذي ينبغي أن يكون دائما الخوف أكثر من الرجاء.

....

ومنهم من قال: ينبغي دائما أن يكون الرجاء أكثر من الخوف.

ومنهم من قال: يغلب الشاب الرجاء، ويغلب الشيخ الخوف.

ومنهم من قال: يغلب في الطاعة الرجاء، وفي المعصية الخوف.

ومنهم من قال: يكون الأمران مستويين إلا إذا مرض الإنسان أو شعر بدنوء أجله يغلب الرجاء.

ومنهم من قال: أنه ينبغي أن يستوي الأمران دائماً وهذا هو القول الصحيح، هذا الذي ينبغي أن يكون حالك يا أيها المؤمن، ينبغي أن يكون هذا حالك يا أيها المؤمن، أن يكون خوفك ورجائك سواء لا يزيد أحدهما عن الآخر؛ وذلك لأن هذا مقتضى النصوص ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ ولأن تغليب أحد الأمرين على الآخر لا يؤمن معه من وقوع العطب ووقوع الخلل.

وأما ما أحتج به من قال أنه إذا دنا الأجل يغلب الرجاء، فهو قول النبي ﷺ الذي خرجه الإمام مسلم «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**» والجواب عن هذا يُقال أن هذا الحديث لا شك فيه ولا ريب، وفيه حث على إحسان الظن بالله تبارك وتعالى، **ومفهوم المخالفة** أنه ينبغي على الإنسان أن يتجنب سوء الظن بالله ﷻ وأما الخوف فلم يرد له ذكرًا في هذا الحديث، وبالتالي فأن مسألة التغليب ها هنا لا ذكر لها أصلًا.

ويشهد لهذا ما خرج الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللهُ بإسناد حسن أن النبي ﷺ زار أحد أصحابه وهو في سياق الموت، فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: والله يا رسول الله إني لأرجو الله وأخاف ذنوبي؛ قال النبي ﷺ «**ما أجتمع مؤمن في هذا المقام ألا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف**»، لا حظ معي أن هذا الصحابي ماذا كان منه؟ اجتمع عنده الأمران الخوف من الله ورجائه ﷻ معاً.

ولذا لو تأملت في حال السلف رَحِمَهُمُ اللهُ تجد أنهم كانوا يذكرون الخوف في هذا المقام والآثار في هذا كثيرة؛ ففي صحيح البخاري أن عمر رضي الله عنه لما طُعن دخل عليه شاب فأخذ يذكره بأعماله الصالحة فقال: "والله لو وددت أني أخرج من هذا كفافًا لا لي ولا علي" ونحو هذا جاء عن عائشة رضي الله عنها كما أخرجه أيضا الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ لما دخل عليها ابن عباس رضي الله عنهما.

إذن الذي ينبغي عليك أن تحرص على أن يكون خوفك ورجائك سواء، ولكن أنت طبيب نفسك فإذا كنت تلحظ أو تعلم من نفسك ميلاً إلى المعاصي، وتقصيراً في الطاعات فينبغي عليك أن تكثر من النظر في النصوص المقتضية لخوف الله ﷻ؛ بمعنى تغلب الخوف تغليبا مؤقتاً حتى يستقيم الحال ويعتدل، وإذا كنت تلحظ من نفسك قنوطاً ويأساً فإنه ينبغي عليك أن تقصد النظر في النصوص الدالة على الرجاء في الله سبحانه، والطمع فيما عنده وفي حسن الظن به تبارك وتعالى، وهذا تغليب مؤقت حتى يستقيم الحال ويعتدل.

يبقى بعد ذلك سؤال ماهي الأسباب التي تدعو إلى الخوف من الله ﷻ؟ كيف يستجلب المسلم خوف الله ﷻ إلى نفسه؟

الجواب عن هذا أن يقال أسباب الخوف ترجع إلى ما يأتي:-

أولًا: مطالعة أسماء الله وصفاته التي تقتضي إلى الخوف منه تبارك وتعالى، وذلك بالنظر إلى أسماء الله وصفاته التي تقتضي الجلالة والقدرة والنفوذ والغضب وشدة الانتقام وما إلى هذه الصفات والأسماء فأنها ولا شك سوف تجعل القلب يطير خوفاً ورهبة من الله ﷻ.

ثانياً: النظر في النصوص التي دلت على عظيم ما يكون في الآخرة فأنها أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الخوف من الله ﷻ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا إلِيمًا﴾﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد﴾

السبب الثالث: النظر في آيات الله التي تقتضي التخويف وَمَا نُرْسِلُ ﴿بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾ قال النبي ﷺ لما كسفت الشمس في عهده «**إن الشمس والقمر آية من آيات الله يخوف الله بهم عباده**»

رابعاً: مطالعة تقصير النفس وإحجامها عن الخير وضعفها في أداء ما أوجب الله تبارك وتعالى، من نظر في هذا الباب وعلم حجم تقصيره وحجمه وجرمه وجناياته، وما ارتكبته يده من معاصي الله ﷻ وما وقع منه من في تقصير من طاعة الله ﷻ، فإنه ولا شك سوف يمتلئ قلبه خوفاً ووجلًا من الله ﷻ، إذا نظر في طاعاته فقط ومدى ما اكتنفها من قصور وغفلة وذهاب خشوع ضعف حضور للقلب وضعف مطالعة المعبود سبحانه الله وتعالى، فأنه يدرك تماماً أنه لو عذبه الله ﷻ علي

هذه الطاعات التي ما قام فيها بالواجب لكان مستحقاً لذلك، فكيف إذا إنضاف إلى هذا سيئات كالجبال ينوء بها كاهله؟! فكيف إذا أنضاف إلى هذا تقصيره في شكر الله سبحانه على نعمه العظيمة؟!

من تأمل في هذا وجعله نصب عينيه فأنه ولا شك سوف يقع الخوف في قلبه لا محالة.

أما أسباب الرجاء في الله ﷻ وأسباب حسن الظن به والطمع فيما عنده ﷻ فهي أيضا كثيرة:

أولًا: مطالعة أسماء الله وصفاته التي يقتضي الإيمان بها حصول الرجاء وهي أكثر الأسماء والصفات، فصفات الله ﷻ إلى تدل على أنه سبحانه متصف بالمحبة والرحمة والود والمغفرة واللطف وما إلى ذلك من هذه الصفات العظيمة فإنها سوف تكسبه بلا شك الرجاء في الله ﷻ.

الأمر الثاني: مطالعة نصوص الوعد، فالله ﷻ وعد المؤمنين فضلا منه جل وعلا وهو صادق الوعد ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ما أعظم وقع هذه الآية وأخواتها في قلوب المؤمنين فإنها تسكب الرجاء في قلبوهم سكبا.

الأمر الثالث: يعلم المسلم ما جعله الله ﷻ من أسباب المغفرة وحصول الرحمة من ذلك استغفار الملائكة وهم عباد صالحون لله ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فدعائهم مرجو الإجابة وقد أخبر الله ﷻ في غير آية أنهم يستغفرون للذين آمنوا، وأنهم يستغفرون لمن في الأرض، إذن هذا أيضا من الأسباب التي تدعو المؤمن إلى أن يرجو في الله تبارك وتعالى.

نأتي الآن إلى مسألة أخرى وهي من أي شيء نخاف؟ وما الذي نرجوه؟

أولًا: نخاف من الله ﷻ، فالله ﷻ من صفاته وأسمائه ما يقتضي أن نخاف منه تبارك وتعالى ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ يخافون ربهم من فوقهم.

ثانياً: الخوف من عذابه وأليم عقابه والله جل وعلا ما ذكر ما يتعلق من نصوص الوعيد ألا أن نخاف من عذاب الله ﷻ، فالله ﷻ يقول: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ ويقول جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

ويقول النبي ﷺ كما في الصحيحين **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً»** فغطى أصحاب النبي ﷺ ووجوههم ولهم خنين من البكاء، إذا مطالعة هذه النصوص تجعل المؤمن يخاف من عذاب الله ﷻ.

الأمر الثالث: الخوف من عدم قبول الحسنة، وهذا الخوف ليس سببه سوء الظن بالله ﷻ بل الله سبحانه أكرم الأكرمين وهو لا يخلف الميعاد، وعد أن من أقبل إليه أقبل الله ﷻ إليه وأن من قدم حسنة إليه فإن الله ﷻ يقبلها بقبول الحسنة، ولكن خوفك نابع من تقصيرك في أداء الحسنة وأنك لم توفها حقها يقول الله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

فسرها النبي ﷺ بالرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخشى ألا يقبل منه، إذن هذا نوع ثالث من الخوف وهو أن تخاف من عدم قبول الحسنة.

الأمر الرابع: الذي تخاف منه هو الخوف من سوء الخاتمة أو الخوف من الوقوع في السيئات مستقبلاً، ربما يكون الإنسان ليس واقعاً في سيئة، لكنه يخشى أن يكون واقع فيها بدون أن يشعر أو أن يقع فيها مستقبلاً أو أن يختم له خاتمة سوء عياذاً بالله وما أقظ مضاجع الصالحين أعظم من تأملهم في سوء الخاتمة عافني الله وإياكم من ذلك. ونبينا الكريم ﷺ علم دعاء عظيم ألا وهو قوله ﷺ **«اللهم أعوذ بك أن أشرك بك شيء وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم»** وهكذا كانوا أصحاب النبي ﷺ كانوا يخافون النفاق على أنفسهم يقول أبن أبي مليكه "أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ كان يخشى النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ".

سفيان الثوري رحمه الله كان يبكي ويقول: "أخشي أن أسلب الإيمان قبل *أن* الموت" إذن هذا من أنواع الخوف التي ينبغي أن تختلج قلوبنا يا أيها الأخوة.

أما الرجاء فأنه متعلق أولًا بالله ﷻ فأسمائه وصفاته منها ما يقتضي أن يرجى تبارك وتعالى في ذاته ﷻ فإنه الكريم سبحانه الرحيم الشكور الغفور الودود جل وعلا.

ثانياً: الرجاء في نيل نعيم الجنة التي بشر الله ﷻ المؤمنين بها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾

ثالثاً: أنه يرجو قبول الحسنة، يفعل الحسنة ويجتمع في قلبه الأمران؛ الأول الذي سبق وهو أن يخشى ألا تقبل منه لضعف وتقصير أدائه لها، ومع ذلك فهو يرجو من الله ﷻ أن يقبلها منه وهذا

....

ما ينبغي أن تنتبه له يارعاك الله، ومن ذلك هذه العبادات العظيمة التي نحن فيها الآن قال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» قال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» قال ﷺ «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**» ما معنى احتسابًا؟ هو هذا الذي نبحث فيه أنه يرجو قبولها من الله تبارك وتعالى تفعل هذه الحسنات ومع ذلك فأنت ترجو من الله ﷻ أن يقبلها منك فهذا من أنواع الرجاء التي ينبغي أن تلاحظها.

الأمر الرابع: أنك ترجو مغفرة السيئات، ترجو الله ﻷ أن يمن عليك بالتجاوز عن السيئات ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾

إذن هذه متعلقات أربعة ينبغي أن تلاحظها في موضوع الرجاء.

هذا الموضوع يا أيها الأخوة موضوع عظيم وينبغي عليك دائماً أن تلاحظه في نفسك وأن تكون متأمل فيه ملاحظا أدلته التي جاءت في الكتاب والسنة؛ حتى تكون قائماً بهذه العبادة أو بهاتين العبادتين على الوجه الصحيح.

يبقى مسألة أخيرة وهي:

كيف أعرف أني أخاف الخوف الصحيح؟ وكيف أعرف أني أرجو الرجاء الصحيح؟

الجواب: إذا كان خوفك مثمراً لطاعة الله فأبشر، خوفك خوف صحيح على مقتضى ما دلت عليه الأدلة الشرعية، وإذا كان رجاءك رجاء مثمراً لطاعة الله ﻷ فأبشر فأنت على خير ورجاءك رجاء شرعي، إذن الخوف الذي ينفع ويكون صحيحاً هو الذي يدفعك إلى طاعة الله ﷻ والله جل وعلا وصف عباده الصالحين الملائكة بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

إذن كان خوفهم سبباً لماذا؟ لطاعة الله ﻷ، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غالية، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ**» وفي مقابل هذا الرجاء لابد أن يكون الرجاء مثمراً لطاعة الله ﻷ وإلا فإنه بطالة وإلا فإنه دعوة، رجاء لا يصحبه عمل هو في الحقيقة دعوى وإرجاء ليس من الرجاء، تأمل في قول الله ﻷ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾يعني

أولئك الذين يستحقون أن يكونوا من أهل الرجاء، هؤلاء هم أهل الرجاء؟ من هم؟ آمنوا هاجروا، جاهدوا في سبيل الله، إذن كانوا إيماناً مع عمل أثمر أن كانوا من أهل الرجاء حقاً فمن كان يرجو لقاء ربه ماذا؟ ينام! يتواكل! يتكاسل عن طاعة الله ! ويقول الله الغفور الرحيم، يفعل المعاصي ويقول الله غفور رحيم؟! كلا ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ فليعمل ضع خطوطاً تحت كلمة يعمل فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك به أحداً هذا الرجاء النافع، هذا الذي ينفعك يا عبد الله من الرجاء وما سواه ما لا ينفعك هو إلى الأمن من مكر الله ﷻ أقرب من أن يكون رجاء.

إذن هذا باختصار شديد ما يتعلق بتحقيق هاتين العبادتين العظيمتين ألا وهما الخوف والرجاء.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ودليل الخوف قال الله تعالى ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾).

علامة صحة الإيمان أن تكون من أهل الخوف ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن كنت من أهل الإيمان فإنه يجب عليك أن تكون من أهل الخوف من الله ﷻ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين﴾ المقصود أن علامة صحة الإيمان أن يكون الإنسان خائفا من الله تبارك وتعالى هذا الذي تدل عليه هذه الآية، فبالتالي ثبت عندنا أن الخوف من الإيمان وأنه طاعة لله ﷿ وإذا كان ذلك كذلك فما حكم الخوف من غيره جل وعلا، نحن مر بنا في درس الأمس قاعدة مهمة وهي كل ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك، وبالتالي قال أهل العلم من خاف خوف السر من غير الله ﷿ فإنه يكون قد أشرك الشرك الأكبر

ما معنى خوف السر؟ يعني أن يخاف من غير الله أن يصيبه بأذى أو مكروه بغير سبب ظاهر يعني بسبب غيبي، يصيبه بأذى مع البعد، أو يخشى من أن يكون مطلع على قلبه فيغضب عليه فإن هذا ولا شك من الخوف الذي هو شرك بالله تبارك وتعالى ويقع هذا كثيراً في أحوال عباد القبور عفاني الله وإياكم، فإن أحدهم يكون وجلاً خائفاً يخشى من شيخه ومن سيده الذي هو مريد له أن يصيبه بمكروه إن حاد عن الطريق الذي رسمه له فهذا خوف لا يجوز أن يصرف لمخلوق.هذا الخوف يجب أن يكون للخالق تبارك وتعالى﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾).

كذلك الرجاء دلت هذه الآية علي أنه عبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الرجاء متعلق به جل وعلا ومتعلق بلقائه ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ ولقاء الله عَزَّ وَجَلَّ هنا يقتضي رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهذا الذي يحرك قلوب المؤمنين إلى طاعة الله سبحانه فهم يشتاقون إلى رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثمن ذلك طاعة الله جل وعلا (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا).

قال: رَحِمَهُ اللهُ (ودليل التوكل قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾).

فقول هذه عبادة رابعة أوردها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ التوكل عبادة عظيمة هي من أوسع المقامات الإيمانية من حيث متعلقها بصفات الله عز وجل فإن كثيرا من صفات الله سبحانه تقتضي التوكل عليه فالصفات التي ترجع إلى معنى القدرة وإلى معنى الملك وإلى معنى الرحمة وإلى معنى المحبة وإلى معنى اللطف كلها تدعو وتحث على معنى التوكل على الله تبارك وتعالى كما أنه من أكثر المقامات حصولاً من المخلوقات فالتوكل على الله يكون من المؤمنين ويكون من الكافرين ويكون من الإنس ويكون من الجن بل حتى من الحيوانات، وحتى من الطير فإنها تتوكل على الله سبحانه وتعالى.

إذن هذا مقام عظيم جعل الله عزوجل هذا المقام شرطاً في صحة الإيمان فالله جل وعلا يقول﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ولاحظ أن هذه الآية دلت على أن التوكل علامة صحة الإيمان من جهتين:

أولًا: من جهة تقديم الجار والمجرور الذي يدل على التخصيص ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ﴾ ما قال وتوكلوا على الله فتقديم الجار والمجرور دليل على أن التوكل عبادة لا يجوز صرفها إلا لله سبحانه وتعالى كأنه قال على الله فتوكلوا ولا تتوكلوا على غيره.

الأمر الثاني: أنه قال ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مؤمنين فتوكلوا عليه، جواب الشرط محذوف هذا تقديره إن كنتم مؤمنين فتوكلوا عليه.

وهذه هي الآية التي أردت أن أشير إليها سابقاً وهي ما قال موسى عليه السلام فيما أخبر الله عز وجل ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ إذن علامة صحة الإسلام أيضاً أن يكون الإنسان متوكلاً على الله جل وعلا، التوكل على الله ما هو التوكل على الله حقيقة مركبة من أمرين: اعتماد وتفويض قلبي على الله سبحانه وتعالى، يعتمد الإنسان ويفوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى.

....

والأمر الثاني بذل الأسباب الممكنة فمتى ما جمع الإنسان بين هذين الأمرين اعتمد على الله ووثق بالله وفوض الأمر إلى الله مع كونه قد قام بالأسباب التي شرعها الله ﷻ وأحلها فإنه حين إذٍ قد يكون توكل التوكل الشرعي.

ولذا عرف بعض أهل العلم التوكل بقوله هو قطع النظر إلى الأسباب بعد تهيئة الأسباب أو كما نقل بن القيم رحمه الله في مدارج السالكين نقل كلمة جميلة عن بعضهم ألا وهي أن التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب، ما معنى هذا الكلام؟ اضطراب يعني الحركة بلا سكون وذلك بالجوارح.

وسكون طمأنينة وثقة بالله عز وجل بالقلب بدون اضطراب، بدون حركة قلب ولا شك ولا يأس.

إذن التوكل هو ماذا؟ اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب بهذا يكون الإنسان قد توكل على الله عز وجل حق التوكل. تأمل في قول نبينا:ﷺ**«لو أنكم توكلون على الله حق توكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً»** هذا الحديث يدل على حصول يقين وتفويض وعلى بذل سبب لأن الطير ما جلست الطير ماذا فعلت ذهبت وغدت تبحث عن الرزق ثم عادت وقد من الله ﷻ عليها بالرزق إذا هكذا يكون التوكل الشرعي.

يقع الناس في أخطاء في هذا الباب أهم تلك الأخطاء ما يأتي:

أولًا: أن يتوكل الإنسان على غير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه الله ﷻ، وهذا يقع في حال من لم يقدر الله عز وجل حق قدره ومن أشرك به ﷻ، ويكثر هذا في عباد القبور يكون قلبه معلق بغير الله ﷻ في تفريج الكروب وتنفيس الهموم ومغفرة الذنوب وإزالة العقبات، بل يكاد أن يكون قد فوض كل شيء إلى سيده الذي يعبده حياً كان أو ميتاً وهذا أمر عظيم ولذا كم يتداول بعض

....

الناس أبيات تدل على هذا التفويض الشركي تجد أهم ينشدون: أن لم تكن في معاد آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم.

يخاطب ﷺ بهذا عنده أن ثقته وتفويضه هي في النبي صلي الله عليه وسلم إلا فالهلاك حاصل في الاخرة، توكل على النبي ﷺ في شأن النجاة من الآخرة ولاشك أن هذا توكل شركي عافاني الله وإياكم من ذلك إذن تنبه يارعاك الله إلى هذا الأمر.

الأمر الثاني: بعض الناس يقع في شرك أصغر؛ وذلك بأنه يلاحظ المخلوق بقلبه ويعتمد عليه بعض الاعتماد في شأن من الأمور الدنيوية؛ يعني بعض الناس يكون في حاجة إلى شيء ما الذي ينبغي عليك أنك إذا احتجت إلى احد واضطررت إلى سؤال أحد وهو يقدر على شيء يقدر على إعانتك يقدر على أن يتوسط لك أو يشفع لك

فإنك ينبغي أن تلاحظ أن الجواز ها هنا مشروط بكون قلبك معتمداً على الله فقط، إنما أنت تطلب بجوارحك أما قلبك فإنه واثق بالله ﷻ لا بالمخلوق ونحن قد علمنا قبل قليل أن التوكل هو قطع النظر في الأسباب بعد بذل الأسباب فمن كان عنده في قلبه إلتفات إلى مخلوق في تحصيل منفعة أو دفع مضرة فإنه يكون قد وقع في جنس الشرك الأصغر وهذا بحر لا ساحل له وما أكثر المخطئين فيه نسأل الله أن يعافينا وأن يغفر لنا.

الأمر الثالث: أن بعض الناس في مسألة التوكل يغفل عن اتخاذ الأسباب يظن أن التوكل الصحيح هو أن يترك الإنسان اتخاذ الأسباب، لا يفعل شيء يجلس ويقول إن شاء الله أن يعطيني وأن يصنع لي كذا وكذا فإنه سيكون، دون أن يتحرك ودون أن يبذل المستطاع وهذا في الحقيقة تواكل لا توكل.التوكل كما قد علمنا لابد ان يجتمع فيه الأمران يجتمع الثقة بالقلب والتفويض من القلب لله ﷻ مع بذل الأسباب، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا.

....

هذا النبي الكريم ﷺ الذي هو سيد المتوكلين ما ترك اتخاذ الأسباب، النبي ﷺ لبث في أحد درعين وكان ﷺ يلبس في الحروب المغفر حيث اتخذ ﷺ سببا يمنع المشركين من الوصول إلى المدينة ألا وهو حفر الخندق، كان النبي ﷺ يحتفظ بقوت أهله مدة سنة، إذن كان على الرغم من أنه أعظم الناس توكلا لا يترك اتخاذ الأسباب.

اتخاذ الأسباب ليس قدحا في التوكل بل ترك الأسباب هو القدح في التوكل وبعض الناس يخطئ في هذا الباب خطأً عظيماً والعجيب ان أن الذي يدعي أنه يترك اتخاذ السبب توكلا على الله ﷻ اخطأ وكذب في نفس الوقت هو كاذب مستحيل أن إنسانا يمتنع عن أي فعل أي سبب على الإطلاق ابن قيم رحمه الله ذكر قصة عن أحدهم وهي أنه ادعى أنه متوكل على الله ﷻ، وبالتالي أنه لا يتخذ أي سبب على الإطلاق فكان يسافر ويتنقل في القفار من مكان إلى آخر دون أن يحمل زاداً معه لكنه كان يقول لابد أن أحمل معي ثلاثة أشياء إناء للوضوء وإبرة وخيط يقول ربما ينقطع ثوبي فأنا بحاجة إلى أن أخيط ثوبي حتى لا تظهر عورتي فتبطل صلاتي ولابد لي من إناء أضع فيه الماء إذا أردت الوضوء.

إذن هذا الرجل ما ستطاع ماذا؟ أن يترك اتخاذ الأسباب بل حتى خروجه من مكان إلى آخر بأي هدف كان هو في الحقيقة اتخاذ للسبب، إذا لا يستطيع إنسان ان يكون تاركاً لفعل الأسباب مطلقا هذا أمر لا يمكن لأحد أن يدعيه.

الأمر الرابع: وهى مسألة مهمة وهى ان بعض الناس إذا سمع ما يتعلق بالتوكل لا ينصرف ذهنه إلا إلى الأمور الدنيوية يعني يظن أن التوكل محصور في مسألة الرزق وما يدور في فلك هذا الأمر فقط هذا هو التوكل وهذا في الحقيقة خطأ وهذا في الحقيقة نقص بل ثمة توكل أعظم من هذا وهو أن تتوكل على الله ﷻ في شأن طاعته جل وعلا وفي شأن طلب العلم وفى شأن الدعوة إلى الله ﷻ هذا أعظم بكثير.

والله أنك لا تستطيع أن تفعل شيئا من هذه الأمور إلا بإعانة الله ﷻ ولذا همم الناس في هذا الباب متفاوتة شتان بين من يكون توكله في حصول رغيف وبين من يكون توكله في طاعة الله ﷻ وأداء عبادته، إذن إذا كان مما يطلق وهذا من الأمر الحسن المطلوب أن يتوكل الإنسان على الله ﷻ في شان الرزق والإعمال وما إليها فإن التوكل على الله ﷻ والاستعانة به وتفويض الأمر إليه والاعتماد عليه جل وعلا في طاعته هذا أولى وأولى وأهم.

ولذا ماذا يقول المسلم إذا سمع الحيلتين في الآذان يقول ماذا؟ لاحول ولاقوه الا بالله، أنت دعيت الآن إلى الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح جوابك بأن تفوض الأمر إلى الله ﷻ وتعلن اعتمادك بالله ﷻ وأنك لا شيء ولا يمكن أن تتحرك ولا تفعل شيئا حتى يأذن الله ﷻ ويمدك بعونه وتوفيقه جل وعلا.إذا لاحظ يارعاك الله في كل أمر من أمور الدنيا وأهم منها في كل أمر من أمور الدين أن تتوكل على الله ﷻ، إياك أن تثق بنفسك، تثق بإيمانك تثق باجتهادك تثق بذكائك تثق بأنك فعلت وفعلت في السابق ربما تخذل بسبب هذه الثقة في النفس. الواجب أن يكون شأنك في كل حالك هو الثقة بالله ﷻ، شأنه أن يوكل وليس أن يتوكل عليه، التوكيل شيء والتوكل شيء آخر، لك أن توكل شخص في أمر من الأمور التي يجوز فيها التوكيل شرعاً يعني تجعل شخصا نائبًا عنك يقوم مقامك في شأن من الشئون أو أمر من الأمور هذا لا حرج فيه.

لكن التوكل قضية أساسها وعمادها التفويض القلبي وهذا لا يجوز إلا في حق الله تبارك وتعالى، إذن هذه العبارة بارك الله فيك لا تجوز.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾

مضى الكلام عن عبادة التوكل، وبقي الدليل الثاني على هذه العبادة العظيمة؛ أعني قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ أبانت هذه الآية ثمرة التوكل، وهو أن يكون الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ حسبه أي كافيه؛ فمن توكل على الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه لا يخشى الخذلان، فالله سبحانه كريم فيجازي على من اعتمد عليه، وفوض الأمر إليه؛ بأن يكون كافيه، ما أهمه وهذا دليل على كرمه سبحانه ورحمته، وعلى محبته لعباده الصالحين، جل وعلا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

أشار رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ثلاثة أنواع من العبادات: ألا وهي الرغبة والرهبة والخشوع، وقد جمعها قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾؛ هذه الآية في سورة الأنبياء ذُكرت بعد أن ذكر سبحانه حال عبده زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ واختلف المفسرون في المراد بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فقيل: إنهم زكريا وأهل بيته، والقول الثاني: أنهم جميع الأنبياء الذين ذكروا في هذه السورة قبل زكريا – عليه السلام-؛ فيكون هو معهم وعلى كلا القولين؛ فالمقصود أن عباد الله الصالحين الواردين في هذه الآية، كانوا يسارعون في الخيرات، ولاحِظ أن قوله جل وعلا ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾ دليل على أن هذا دأبهم وهجِّيراهم، كانوا يسارعون، لا يبطئون في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ بل كانوا يسارعون في الخيرات؛ يعني في الطاعات، فالخير هو الطاعة، وهو الحسنة ما يقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ رغباً ورهباً قيل: نصبت هاتان الكلمتان على الحالية، ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ حال كونهم راغبين وراهبين، أو تكون الكلمتان قد نصبتا على أنهما مفعول لأجله، والمقصود: أن حال الصالحين؛ هو الجمع بين الرغبة والرهبة، وهذان الأمران يرجعان إلى معنى قريب من معنى الرجاء والخوف، وبالتالي ففي الآية دليل على الجمع بين الخوف والرجاء، وأن هذا هو الذي يجب أن يكون عليه المؤمن جامعاً بين الخوف والرجاء.

....

الرغبة: هي ميل النفس إلى الشيء لاعتقاد نفعه؛ هذه هي الرغبة، وهي بالتالي قريبة من معنى الرجاء.

لكن الفرق الدقيق بين الرجاء والرغبة: أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، انتبه، الرجاء طمع، والرغبة طلب، بمعنى أن الرغبة ثمرة الرجاء، فمن طمع في شيء؛ فإنه ماذا؟! سوف يطلبه ويسعى إليه.

إذن هذا هو الفرق الدقيق بين الرجاء والرغبة، ومضى في درس الأمس الكلام مفصلاً عن الرجاء؛ وعن كثير من مباحثه التي ينبغي على المسلم أن يعرفها، والمقصود أن الرغبة عبادة يجب صرفها لله تبارك وتعالى؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ ولاحظ أن تقديم الجار والمجرور دال على الحصر، الأصل في السياق إنا راغبون إلى الله؛ لكن لما قال: إنا إلى الله راغبون؛ فكأنه قال راغبون إلى الله لا إلى غيره؛ فكان في الآية حصر وقصر للرغبة على الله ﷻ فحسب؛ فالذي يُرغب فيه إنما هو الله تبارك وتعالى.

أما الرهبة: فإنها كما ذكرت قريبة من معنى الخوف فهي عبادة لله ﷻ؛ قال سبحانه: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أسلوب أيضا يدل على ماذا؟!، على الحصر؛ فالرهبة إنما تكون من الله ﷻ وثمت فرق دقيق بين الرهبة والخوف.

قالوا: الرهبة خوف مع تحرز، يعني الرهبة خوف مقرون بعمل؛ أي: الرهبة خوف مع هرب من المخوف منه؛ فإذا كنت صادقاً في الرهبة من الشيء فإن هذا الخوف الذي في قلبك سيقترن به ماذا؟ عمل وسعي واجتهاد، في البعد عن الشيء الذي تخاف منه، فإذا كنت تخاف من عذاب الله ﷻ وغضبه وانتقامه؛ فإنك إن كنت راهبا ستسعى السعي الحثيث في البعد عما يوقعك في هذا الذي تخاف منه، إذن هذا هو الرهبة.

....

قال: ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ هذه العبادة الثالثة في الآية، والخشوع يدل على أمرين، **الخشوع مجموعٌ من شيئين**: الأول: ذل وخضوع، والثاني: سكون وطمأنينة؛ فمتى اجتمع الأمران كان الإنسان خاشعاً يذل ويخضع مع كونه ماذا؟! مع كونه ساكناً مطمئناً؛ فالخشوع أيضاً عبادة يجب صرفها لله تبارك وتعالى؛ قال سبحانه: ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ ولاحظ أيضا تقديم الجار والمجرور في قوله (لنا)؛ للدلالة على الحصر؛ فالخشوع إنما يكون لله تبارك وتعالى.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾.

الخشية أيضا قريبة في المعنى من الخوف؛ لكن بينهما فرق دقيق أيضًا، الخشية خوف مقرون بتعظيم ومعرفة؛ إذن لا يكون الإنسان صاحب خشية من الله ﷻ إلا إذا جمع بين هذين الأمرين أن يكون خوفه مع معرفة بالمخوف منه، وتعظيم له، لا بد أن يكون الإنسان عالماً بالشيء الذي يخاف منه، أما إن كان يخاف من شيء لا يعلمه فهذه ليست خشية، ولذا كان الموصوفون بالخشية هم العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ لم؟! لأنهم عالمون بالله تبارك وتعالى، وكم يخاف الإنسان مع جهله بالله ﷻ فيقع في معاطب، بعض الناس، خوفه من الله عز وجل يوقعه في سوء الظن بالله ﷻ والسبب: جهله، لو كان عالما بالله ﷻ وبصفاته وأسمائه جل وعلا ما وقع في الخلل، خذ مثالاً على هذا بعض الناس يخاف من الله ﷻ كما يخاف من عدو يخشى مكره وكيده وأن يغتاله على حين غرة، ولذا تجده مثلًا إذا سمع قول النبي في الرجل: «**فإن الرجل لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخلها**» يظن أن الله تبارك وتعالى ربما يكيد لك ويمكر بك، وأنت مجتهد في الصالحات، قائم بطاعة الله ﷻ جهدك، والنتيجة أن الله ﷻ يخذلك في آخر لحظة؛ فتجد أن هذا الخوف خوف جاهل بالله ﷻ لا خوف عالم، الله ﷻ شكور، لا يمكن أن يجازيك على إقبالك عليه؛ بأن يضلك ويصرف قلبك عن الحق؛ فيجازيك على الحسنة بالسيئة، هذا ظن سَوء بالله تبارك وتعالى لا يجوز للمسلم أن يظنه في الله ﷻ؛ بل الله سبحانه يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ ماذا؟! أضلهم؟! أعقب على قلوبهم بالفتنة؟! حاشا وكلا، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ ماذا؟ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ وأما بالنسبة لهذا الحديث؛ فإنه قد جاء توضيحه في رواية؛ أنه يعمل بعمل أهل الجنة فيما يظهر للناس، يعني الرجل ما كان مخلصا لله ﷻ كان مرائيًا، يطلب مدحة الناس، ومثله حري بأن يخذل قبل الموت -عفاني الله وإياكم من ذلك- أما من كان صادقا مع الله ﷻ

....

فإن من أقبل على الله تبارك وتعالى فإن الله يقبل عليه، ومن جاءه يمشي أتاه ﷻ هرولة؛ كما ثبت هذا عنه ﷺ إذن هذا هو الأمر الأول في الخشية: أن يكون الخوف مقرونا مع ماذا؟! مع معرفة بالمخوف،

الأمر الثاني: أن يكون مع تعظيم؛ متى ما كان المخوف معظماً؛ كان هذا من الخشية وبالتالي؛ فإذا كان الخائف إنما يخاف لضعفه ووجله؛ لا لأن ما يخافه شيء عظيم؛ فإن هذا ليس بخشية، أما الله تبارك وتعالى؛ فمن يخشاه، فلأنه تبارك وتعالى عظيم، ولأن غضبه شديد، ولأن انتقامه عظيم تبارك وتعالى؛ فمثل هذا إذا اجتمع في القلب؛ فإنه يكون خشية؛ المعرفة بالمخوف مع تعظيمه، والخشية عبادة؛ إنما تصرف لله تبارك وتعالى كما مر معنا في هذا الدليل إذن؛ من صرف هذه الخشية لغير الله تبارك وتعالى؛ فإنه يكون قد أشرك مع الله ﷻ وما الدليل؟!

الدليل: قاعدة تعلمناها: كل ما ثبت أنه عبادة؛ فصرفه لغير الله شرك، والخشية عبادة بنص الكتاب؛ لأنه اجتمع فيها ماذا؟ أمران: محبة الله وشرعه ورضاه؛ فمتى شرعه ورضيه لعباده فإنه يكون عبادة؛ وبالتالي فالخشية عبادة، ومن صرفها لغير الله ﷻ فقد أشرك معه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾

الإنابة تجمع أربعة أمور؛ إذا اجتمعت هذه الأربعة كان الإنسان منيباً إلى الله عَزَّوَجَلَّ:

أولًا: المحبة، **وثانياً**: الخضوع، **وثالثاً**: الإقبال على الله، **ورابعاً**: الإعراض عما سواه.

فمتى اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان الإنسان منيباً إلى الله عَزَّوَجَلَّ قائماً بعبادة الإنابة له.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»).

الاستعانة: الألف والسين والتاء للطلب، وبالتالي؛ فالاستعانة طلب العون؛ قال العلماء: الاستعانة في المعنى قريبة من التوكل، ولذا فإنهم يضعون أحد الكلمتين مكان الأخرى، والقاعدة عند اللغويين: أن الشيء قد يوضع محل الشيء، إذا كان قريباً منه، إذن كل ما قيل في التوكل؛ فإنه يقال في الاستعانة؛ فالاستعانة في معناها قريبة، أو هي التوكل على الله- تبارك وتعالى-، والدين كله إنما هو عبادة وتوكل إنابة وطاعة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ إذن ما تكلمنا عنه في التوكل؛ فإنه ينسحب أيضاً على الاستعانة، والذي يبدو والله أعلم أن التوكل أرفع درجة، وفيه من الاعتماد والثقة، ما ليس في الاستعانة، بدليل أنه دلت النصوص على جواز الاستعانة في المخلوق فيما يقدر عليه، و لم تأت في التوكل بذلك، ولذا فإن الله جل وعلا يقول: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ وفي الحديث: «**استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان**»، أما التوكل ففيه زيادة في التعلق القلبي بالله تبارك وتعالى، ولذا فإن هذه الكلمة لا تستعمل إلا في حق الله عَزَّ وَجَلَّ.

المقصود: أن الاستعانة تجمع أمرين: تجمع الثقة والاعتماد، متى اجتمع هذان الأمران؛ فإن الاستعانة تكون حاصلة؛ الأول أن يكون هناك اعتماد؛ قد تثق بمن لا تعتمد عليه؛ لاستغنائك عنه، شخص تثق فيه لكنك لا تعتمد عليه في أمر من الأمور لأنك لا تحتاجه، وقد تعتمد على من لا تثق؛ لا تثق فيه لكنك تعتمد عليه؛ إما لحاجتك أو لأنك لا تجد من يقوم مقامه، أما إذا اجتمع الأمران اعتماد مع ثقة، فإن الحالة حينئذ تكون استعانة، والاستعانة تكون بالله تبارك وتعالى، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وتقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ على﴿نَسۡتَعِينُ﴾دليل على حصر الاستعانة في الله تبارك وتعالى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾

الاستعاذة كما قلنا في الاستعانة؛ الألف والسين والتاء للطلب، إذن **الاستعاذة:** طلب العوذ والعياذ؛ مصدران؛ كما تقول الصوم والصيام، فالاستعاذة: هي طلب العياذ أو طلب العوذ، والاستعاذة: إلتجاء واعتصام، وهرب من شيء يخاف منه إلى شيء يعصم منه، تخاف من شيء فتهرب منه إلى شيء يعصمك منه، هذه هي الاستعاذة، والاستعاذة عبادة إنما تصرف لله تبارك وتعالى، ودليل ذلك ما جاء في هاتين الآيتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ولاحظ أن الاستعاذة تكون من شيء تخاف منه، وتلجأ إلى من يعصمك من هذا الشيء الذي تخاف منه، يقابلها كلمة اللياذ، واللياذ تكون في طلب ما يرجى؛ أما العياذ فإنه يكون هرباً مما يخاف.

يا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فيمَا أُؤمِّلُهُ ... وَمَنْ أعُوذُ بِهِ فيمّا أُحاذِرُهُ

فاللياذ: كلمة تقابل العياذ، واللياذ: إنما يكون بالله؛ كما أن العياذ يكون بالله تبارك وتعالى.

نأتي هنا إلى مسألة وهي: **ما حكم الاستعاذة بغير الله ﷻ؟**

المسألة فيها تفصيل؛ انتبه لها، الاستعاذة: لها جانبان جانب قلبي، وجانب باللسان، **أما الجانب القلبي:** فهو الاعتماد والاعتصام واللجوء والتفويض، وما إلى هذه المعاني؛ فإن هذا يجب أن يكون بالله تبارك وتعالى لا بغيره؛ فمتى ما حصل هذا الركون القلبي إلى غير الله ﷻ؛ فإن الإنسان يكون قد أشرك مع الله ﷻ.

أما ما كان باللسان: فإن حكمه يرجع إلى حكم الدعاء، وبالتالي فإننا نتزل عليه ما ذكرناه في مسألة الدعاء، وعليه؛ فإن الاستعاذة إذا كانت بميت كانت شركاً أكبر لو أن إنسانا أتى إلى قبر ولي أو نبي وقال: (يا سيدي فلان، أعوذ بك من هذا العدو، الذي أخافني) فإن هذا يعتبر ماذا؟! شركاً أكبر، أو يستعيذ بحي غائب يذهب يستعيذ بسيده أو بشيخه أو بمعظمه الذي هو بعيد عنه لا يسمعه يا سيدي فلان أعوذ بك من كذا وكذا مما أخاف)؛ فإننا نقول هذا ماذا؟ شرك أكبر، أو

....

يستعيذ بحي حاضر في ما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى، لو قال: (يا شيخي فلان أعوذ بك من النار، أعوذ بك من دخول جهنم) عافاني الله وإياكم؛ فإن هذا يعتبر ماذا؟! شركاً أكبر؛ لأنه استعاذ بغير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله.

أما كانت الاستعاذة بحي حاضر قادر؛ فإنه لا بأس بها بشرط أن يكون الاعتماد القلبي على الله ﷻ، ويدل على هذا جملة من الأدلة من ذلك: ما ثبت في "صحيح مسلم" في ذكر المخزومية التي سرقت، فإنه لما أُتِيَ بها إلى النبي ﷺ عاذت بأم سلمة ﵂؛ لكن النبي ﷺ أبى، وقال: **«والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»**.

كذلك ثبت في "صحيح مسلم" أن أبا مسعود البدري ﵁كان يضرب خادماً له؛ فقال هذا الخادم: أعوذ بالله؛ فاستمر في ضربه، ثم أبصر النبي ﷺ، وهذه الرواية جاءت في "مصنف عبد الرزاق" أبصر النبي ﷺ مقبلًا؛ فالنبي ﷺ حاضرا يسمع؛ فقال هذا الخادم: أعوذ برسول الله؛ فكف أبو مسعود ﵁، وأخبر النبي ﷺ أبا مسعود أن الله ﷻ أقدر عليه منه على خادمه.

الشاهد أن الخادم ماذا قال: أعوذ برسول الله؛ والنبي ﷺ ما أنكر عليه؛ لم؟! لأنها استعاذة بحي حاضر قادر.

كذلك ثبت في "المسند" وغيره أن صفية ﵂ أرسلت إلى النبي ﷺ وهو في بيت عائشة إناء فيه طعام؛ فأخذت عائشة ﵂ الغيرة؛ فأخذت هذا الإناء وكسرته؛ ثم نظرت في وجه النبي ﷺ فوجدت فيه الغضب؛ فقالت: "أعوذ برسول الله أن يلعنني"؛ فدل هذا على الاستعاذة بالحي الحاضر في شيء يقدر عليه، والنبي ﷺ قادر على أن لا يلعنها؛ فدل هذا على أن هذه الاستعاذة جائزة.

....

كذلك ثبت في "الصحيحين" أن النبي ﷺ لما ذكر الفتن قال في آخر الحديث: «**فمن وجد معاذا؛ فليعذ به**» أو قال «**من وجد ملجأ فليعذ به**»؛ فهذه الأدلة وغيرها تدل على أن الاستعاذة إذا كانت باللسان لحي حاضر قادر؛ فإن هذه لا بأس بها إن شاء الله.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾الآية).

الاسْتِغَاثَةُ: في معنى الدعاء، لكنها أخص من الدعاء؛ فالاستغاثة دعاء في حالة الكرب، من دعا في حالة الكرب؛ فإن دعائه يسمى ماذا؟! استغاثة، من كان في حالة حرجة، من كان في كرب عظيم؛ فدعا الله تبارك وتعالى؛ فإن دعائه يسمى ماذا؟! استغاثة.

إذن الكلام في الاستغاثة كالكلام في الدعاء، الألف والسين والتاء لطلب الغوث، إذن الكلام في الاستغاثة هو الكلام في الدعاء، سواء بسواء.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

هذه عبادة بدنية عظيمة، ألا وهي الذبح، يجتمع فيها حسن الظن بالله، و الرجاء فيه والإنفاق في سبيله، الذبح عبادة دلت عليها هذه الآية التي سمعناها؛ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فما وجه الشاهد هنا؟! وجه الشاهد في قوله تعالى: ﴿وَنُسُكِي﴾ فإن المراد بالنسك: الذبح؛ وما الدليل؟ الدليل على هذا في كتاب الله كما قال ﷻ في فدية الأذى في الإحرام قال: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ فسر هذا النبي ﷺ أن النسك هو ذبح شاة، إذن النسك هو ماذا؟! هو الذبح، فالذبح عبادة لله تبارك وتعالى، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، ولاحظ هنا أنه عطف النحر على الصلاة؛ فكأنه قال: فصل لربك وانحر أيضا لربك، ولاحظ أنه كيف قرن بين النحر وهذه العبادة العظيمة التي لا عبادة أعظم منها وهي الصلاة، إذن ثبت عندنا الآن أن الذبح عبادة، طيب وإذا كانت عبادة ما الدليل على أن صرفها لغير الله شرك؟!

كل ما ثبت أنه عبادة؛ فصرفه لغير الله شرك، واستحق هذا المشرك لعنة الله ﷻ؛ ففي "صحيح مسلم" قال ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»، والله إنه لحقيق وجدير بلعنة الله ﷻ، كيف يريق هذا الدم تعظيمًا لمخلوق، والواجب أن يكون هذا لله تبارك وتعال.

....

مسألة الذبح مسألة تحتاج إلى تفصيل، انتبه بارك الله فيك أحوال الذبح سواء كان الذبح جائزا أو غير جائز ترجع إلى هذه الأحوال التي سأذكرها إن شاء الله:

أولًا: الذبح باسم الله لله؛ هذه عبادة لله تبارك وتعالى اجتمع فيها الاستعانة والعبادة، اجتمع فيها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أما الاستعانة فهي في أنه ذبح بسم الله، أهل باسم الله، قال حين الذبح باسم الله، والتسمية على الذبيحة أمر لابد منه قال الله جل وعلا: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال النبي ﷺ كما في "الصحيحين": **«ما أهر الدم، وذكر اسم الله عليه، فكله»** وسبحان الله، إن لذكر اسم الله ﷻ على الذبيحة أثراً عظيماً في تطييبها، تطيب الذبيحة وتزكو بإذن الله إذا ذكر عليها اسم الله ﷻ، والعكس بالعكس.

إذن أن يذبح باسم الله. هذا أولًا، ثانيًا: لله، ما معنى لله؟! يقصد بذلك وجه الله تبارك وتعالى يتعبد لله سبحانه بالذبح، يعظم الله تبارك وتعالى بالذبح، فهذه عبادة الله يحبها أن يهراق دم بهيمة الأنعام لوجهه ﷻ؛ هذا تعظيم يحبه الله تبارك وتعالى وهذه العبادة لها أوجه في الشريعة؛ فالهدي ذبح عبادة، فدية الأذى في الإحرام أيضاً ذبح عبادة، العقيقة ذبح عبادة، ذبح النذر ذبح عبادة إلى غير ذلك مما ثبت في الشريعة أنه يتعبد لله تبارك وتعالى بالذبح؛ إذن هذه عبادة لله تبارك وتعالى وصاحبها مأجور، الذبح باسم الله لله.

ثانيًا: باسم الله لغير الله؛ يذبح باسم الله، يقول بسم الله، ولكن النية في القلب يريد ماذا؟! يريد تعظيم غير الله، وهذا يقع ممن سفه نفسه، وهانت عليه نفسه من عباد القبور وأضرابهم الذين يذبحون على القبور، ولأجل أصحابها يتقربون إلى أصحابها، أو يتقربون إلى الجن، يقول: (لا أستطيع أن أدفع أذى الجن عني وعن أهل بيتي إلا بأن أذبح لهم) أو ربما إذا بنى بيتاً جديدًا، يأتيه من يأتيه من شياطين الإنس والجن فيقولون له: (إذا أردت أن يذهب عنك أذى الجن لا يأتوك ولا

....

يأذوك في بيتك؛ فاذبح ذبيحة لأجلهم، وسم عليه اسم الله ثم خذ هذا الدم، ولطخ به عتبة الباب وأركانه أو أساسات البيت)، وهذا لا شك أنه شرك بالله تبارك وتعالى الذبح تعظيماً لا يكون إلا لله، وهذا ذبح تعظيماً لغير الله ﷻ فكان شركا بالله وهو شرك في العبادة؛ لأنه ذبح قاصدًا غير وجه الله تبارك وتعالى.

الحال الثالثة: أن يذبح باسم غير الله لله، وهذا شيء نادر وربما لا يتصور، لكن أذكره تتمة للقسمة، يسمي لغير اسم الله، يذبح باسم السيد الفلاني، أو باسم المسيح، أو باسم الزهرة، أو باسم كذا أو باسم كذا، ويريد بها التقرب بها إلى الله تبارك وتعالى فهذه أيضا شرك بالله ﷻ؛ لكنه شرك في ماذا؟! في الاستعانة لا في العبادة.

الحال الرابعة: أن يذبح باسم غير الله لغير الله، وهذه الحال ظلمات بعضها فوق بعض، شرك في الاستعانة وشرك في الاستغاثة، يذكر اسم الولي أو النبي ويريد التقرب إليه باسم السيد الفلاني، ويريد التقرب إليه، أو باسم جني وينوي التقرب إليه فهذا شرك أكبر في العبادة وفي الاستعانة.

الحال الخامسة: أن يذبح باسم الله لغرض مباح؛ يذبح باسم الله؛ هذا لابد منه، لابد أن تذكر اسم الله على الذبيحة، والمقصد ليس تقرباً إلى الله، وإنما يريد أمراً مباحا، يريد أن يطعم أهله اللحم، أو يريد أمرا مندوبا؛ كإكرام الضيف، جاءه ضيف؛ فيذبح ذبيحة لأجل أن يكرمه، فهو ذبح باسم الله والقصد ليس تقربا إلى الله ولا التقرب إلى غيره إنما يريد أمرا مباحا؛ فما حكم هذه الذبيحة؟! جائزة؛ لا حرج في ذلك، وإذا أراد بذلك أن يذبح لأجل أن يكرم؛ فإن هذا مثاب؛ لأن إكرام الضيف أمر مندوب إليه.

ما الفرق بين هذه الحال والأحوال الأربع الماضية؟

انتبه هناك فرق دقيق، في الأحوال الأربع الأولى: الذبح هو المقصود، واللحم تبع، وفي الحال الخامس: اللحم هو المقصود، والذبح تبع، في الحالات الأربع سواء كان الذبح توحيدًا أو كان

....

شركًا، المقصود هو ماذا؟! إراقة الدم، المقصود: التعظيم بالذبح، وبعد ذلك اللحم ماذا يصنع فيه، هذا أمر ليس له كبير أهمية هنا، إن تصدق به، إن أكله، إن رماه، المقصود ماذا؟! حصل، أنه أراد التعظيم بالذبح؛ أما في الحال الخامس: فالمقصود هو ماذا؟! اللحم هو يريد اللحم؛ فالذبح ما هو إلا ماذا؟! وسيلة، ولذلك يمكن إذا جاءه ضيف أو أراد أن يطعم أهل بيته اللحم، يمكن أن يشتري ذبيحة فيذبح أو يذهب إلى السوق، فيشتري ماذا؟! ذبيحة جاهزة؛ لماذا لأن قصده إنما هو اللحم، ولذا فإنه يكتفى بأن يذكر اسم الله ﷻ على الذبيحة، إذن هذه الأحوال التي يدور عليها حكم الذبح، ويفصل في الحكم على الذبح، بحسب هذه الأمور التي مضى بيانها والله تعالى أعلم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾

النذر عبادة لله تبارك وتعالى، من حيث عقد النذر، ومن حيث وفاء النذر؛ فكلا الأمرين عبادة لله ﷻ، النذر من حيث عقده يجب أن يكون لله، والوفاء يجب أنه يكون لله تبارك وتعالى.

النذر: هو أن يلزم الإنسان نفسه، بما لا يلزمه على صيغة مخصوصة؛ كأن يقول مثلاً لله عليَّ نذر أن أفعل كذا وكذا، أو نذر عليَّ كذا وكذا أن أفعل كذا وكذا، نذر عليَّ أن أصوم إن جاء أبي من السفر، نذر عليَّ أن أتصدق بمائة ريال إذا نجحتُ في الامتحان، ونحو ذلك.

الأصل أن هذا الفعل لم يجب عليك، لكن أنت ماذا، نذرته يعني أوجبته على نفسك، والنذر عبادة لله ﷻ، بدليل أن الله تعالى مدح الموفين بالنذر فقال ماذا؟ مدح أهل الإيمان بأنهم يوفون بالنذر؛ فقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾؛ فدل هذا على أن النذر عبادة لله ﷻ، وثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**من نذر أنه يطيع الله؛ فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»، وعليه؛ فمن نذر فإن هذا النذر يجب أن يكون لله ﷻ، ومن نذر لغير الله فقد أشرك الشرك الأكبر، من قال: (يا سيدي فلان)، أتى إلى صاحب قبر، وقال: (يا سيدي فلان إن رجع غائبي من السفر، أو شفيت والدتي من المرض نذر لك أن أطعم عند قبرك كذا وكذا أو أتصدق للفقراء بكذا وكذا)، أصبح النذر هذا ماذا؟! شركا بالله ﷻ؛ لأنه ما جعله لله، وإنما جعله لغيره، وكل ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر.

والنذر يتعلق به أحكام؛ يحسن بك يا طالب العلم أن تعرفها.

أولًا: أن يكون النذر نذرا مطلقًا يعني يقول الإنسان لله عليَّ نذر؛ هكذا ويسكت، ولا يبين ما هو الشيء المنذور؛ هنا يجب عليه أن يكفر كفارة يمين؛ لقول النبي ﷺ في ما خرج الإمام مسلم: «**كفارة النذر كفارة يمين**»، وما كفارة اليمين؟ إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم أو تحرير رقبة، أنت مخير بين هذه الأمور الثلاثة تفعل واحدة منها، طيب ما عندي قدرة، لم أجد؛ فصيام ثلاثة أيام، يصوم ثلاثة أيام إذا كان غير قادر على الأمور الثلاثة التي سلفت.

الحال الثانية: أن ينذر أمرا مباحا يقول: لله عليَّ أن أركب دابتي، نذر عليَّ أن أذهب للسوق، ما حكمه؟! مباح؛ إذن الحكم هنا أنه يخير بين الوفاء بالنذر أو أن يكفر كفارة يمين؛ نقول له:اذهب إلى السوق إن شئت، وإن شئت ألا تذهب فعليك كفارة يمين؛ هذه الحال الثانية.

الحال الثالثة: أن ينذر أمرًا مكروهًا؛ يقول نذر عليَّ مثلا أن أطلق، الأصل في الطلاق أنه مكروه؛ نقول هو مخير بين الأمرين أيضًا، والمستحب في حقه أنه يُكفِّر ولا يفعل الشيء المكروه.

الحال الرابعة: أن ينذر أمرًا محرماً، يقول –عياذًا بالله– نذر عليَّ أن أشرب خمرًا –نسأل الله العافية–، فما الذي يجب، هل يجوز له أن يوفي بنذره أم نقول هو مخير، لا هذا ولا هذا، نقول لا يجوز له أن يوفي بنذره لقول ﷺ: «**ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**» **هل تلزمه كفارة؟!** المسألة خلافية بين أهل العلماء؛ ذهب جمهور العلماء أنه لا كفارة في نذر محرم، وذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إلى وجوب الكفارة، واستدل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بحديث خرجه الخمسة أن النبي ﷺ قال: «**لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين**»، والحديث فيه بحث طويل من جهة ثبوته، والأقرب والله تعالى أعلم هو ثبوته، وجاء أيضًا ما يشهد له في بعض الأحاديث الأخرى؛ فالذي يظهر، والله أعلم أن الراجح وعلى أقل الأقوال والأحوط: أنه لا يوفي بنذره وعليه كفارة يمين.

الحال الخامسة: أن ينذر طاعة؛ كأن يقول لله عليّ أن أتصدق بكذا وكذا، أو يكون الأمر مقيدًا بحال؛ يعني يكون النذر نذر تعليق، بأن يقول إن نجحت في الامتحان؛ فنذر عليَّ كذا وكذا؛ **إذن نذر الطاعة له حالتان:**

أن ينذر طاعة مطلقًا يقول هكذا بدون أن يقيد بشيء نذر عليَّ أن أقوم الليل هذه الليلة، فما الواجب؟ الواجب أن يوفي بنذره، وليس هناك مندوحة عن ذلك؛ «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»؛ كما قال ﷺ.

الحال الثانية: أن يكون النذر معلقًا؛ علقه بشيء كرجوع أبيه من السفر أو نجاحه في الامتحان أو نجاح عملية ابنه أو ما شاكل ذلك، فنقول إن نجح ابني فنذر لله عليّ أن أتصدق بكذا وكذا فما الحكم؟ نقول: إن وقع الشيء الذي علق النذر عليه أصبح الوفاء بالنذر واجبًا، وليس

هناك مجال للتراجع عنه؛ أما إن لم يحصل كأن يكون الابن قد رسب؛ فإنه ماذا لا يلزمه شيء، لو علق النذر على شيء وهذا الذي علق عليه لم يحصل، وبالتالي ذمته بريئة.

وهنا يا إخواني تنبيه:

النبي ﷺ نهى عن النذر، وقال: «**إنه لا يأت بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**»؛ فلا تنذر يا رعاك الله.

بعض الناس يتحمس في حال في الأحوال ولا سيما النساء؛ لأجل أنه يظن أنه إن نذر كان هذا أقرب لحصول مطلوبه، وهذا ليس بالصحيح؛ فنذرت أو لم تنذر؛ فإنه لا أثر لهذا لنذر في حصول مطلوبك، لأن النبي ﷺ قال: «**إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل**»؛ فدل هذا على أن النذر لا يقدم ولا يؤخر، و إنما أنت تلزم نفسك بشيء لم يلزمك، ولربما شق عليك الأمر وتعسر، وما أكثر ما يقع ذلك، بعض الناس يتصل، وبعض النساء تسأل؛ إحداهن تقول: (نذرت أن أقوم الليل كل ليلة ثلث الليل كل ليلة إلى أن أموت إن حصل شيء معين)، وحصل هذا الشيء المعين، ما الواجب؟!، الواجب أن تفي وليس هناك مجال آخر متى كانت قادرة على القيام فإنها يجب عليها أن توفي هذا النذر.

وأخرى تقول: (نذرتُ أن أصوم يوما وأفطر يوما إلى أن أموت إن حصل كذا وكذا) وحصل، ما الواجب؟!، الواجب عليها أن توفي فصامت الأسبوع الأول والثاني والشهر الأول والثاني؛ ثم أصبح الأمر ثقيلًا عليها، ذهبت تبحث عن فتوى من هنا أو هناك تتخلص به من هذا الأمر، والجواب: أن لا مخرج؛ لأن الحديث صريح «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»؛ الله ﷻ ما أوجب عليك، يا عبد الله هذا الامر أنت الذي أوجبت على نفسك فيجب عليك أن تتحمل مسؤولية ما فعلت؛ إذن الأولى بك والأحرى بك والذي ينبغي عليك أن لا تلج هذا الباب لأنك إن نذرت فلم تفي؛ فإنك عاص لله ﷻ، المسألة مسألة وجوب وحرمة، مسألة إثم وطاعة إن أوفيت بنذرك أنت مثاب وإن لم توف مع القدرة فإنك آثم؛ عرضت نفسك للإثم والعقوبة والنار

-عفاني والله وإياكم-، فحذاري من النذر، لا تنذر، ادع الله ﷻ اطلب من ربك فهو كريم؛ ولا تلجأ إلى النذر فإنه لا يقدم ولا يؤخر.